

الخطيبُ الشّربينيّ وآراؤُه الكلاميّة

مع تحقيقِ رسالتِه

(عقيدةٌ في التوحيدِ والتصوفِ)

إعداد الدكتور:

أحمد جمال أحمد إسماعيل

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة ـ جامعة الأزهر






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


بسم الله الرحمن الرحيم




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية






الخطيب الشّربينيّ وآراؤه الكلامية مع تحقيق رسالته : "عقيدة في التوحيد والتصوف"

أحمد جمال أحمد إسماعيل
قسم أصول الدين، عقيدة وفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الإلكتروني: ahmedismail.4@azhar.edu.eg



الملخــص:

مما لا شك فيه أن الخطيب الشربيني من علماء أهل السنة البارزين الذين كان لهم دور بارز في شتى مجالات العلم والمعرفة.

وقد حظي الخطيب الشربيني بدراسات عدة في الفقه والتفسير واللغة وغيرها، إلا أن الجانب الكلامي عنده لم يحظ بالدراسة والاهتمام على الرغم من كثرة المسائل والقضايا الكلامية الموجودة في تفسيره المسمى: (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير).

لذا أردت إلقاء الضوء على هذا الجانب عند الخطيب الشربيني؛ لمعرفة كيفية تقريره لمذهب أهل السنة، وكيفية رده على خصومهم.

هذا بالإضافة إلى أنني قد وقفت على رسالة له بعنوان (عقيدة في التوحيد والتصوف)، لم تطلها يد التحقيق، وقد لاحت رغبتي في إخراجها والاعتناء بها والإفادة منها؛ إذ اشتملت على مادة علمية مختصرة ومتميزة.

الكلمات المفتاحية: الخطيب الشربيني-السراج المنير-عقيدة-التوحيد-التصوف.

Al-Khatib Al-Sherbiny and his Theological Views with Specific Reference to his Thesis (a Doctrine of Monotheism and Sufism)

By: Ahmed Gamal Ahmed Ismail
Assistant Professor of Islamic Creed and Philosophy
Department of Osoul Al-Deen
Faculty of Islamic and Arab Studies for Men in Cairo
Azhar University
e.mail:  ahmedismail.4@azhar.edu.eg



Abstract

There is no doubt that Al-*Khatib* Al-*Sherbiny* is one of the most prominent scholars of the Sunnah who had a prominent role in various fields of science and knowledge. Al-Khatib Al-Sherbiny has been considered in many studies on jurisprudence, interpretation, language, etc. Even though, the theological aspect did not receive due consideration or attention despite the numerous theological matters and issues stated in his interpretation entitled: "Al-*Seraj* Al-*Munir as guidance to know the meanings of the words of our Lord, the all-Wise, the All- Aware*". Therefore, the researcher has meant to shed light on this aspect of Al-*Khatib* Al-*Sherbiny* to know how he affirmed the doctrine of the Sunnah, and how he confronted their opponents. Moreover, the researcher has searched into his thesis entitled (*a Doctrine of Monotheism and Sufism*), which was left untouched by any investigation. The researcher intended to take the thesis out, examine it and benefit from it. The thesis has also included a brief and distinctive content.

Key words: Al-Khatib Al-Sherbiny - *Al-Seraj Al-Munir* - monotheism - Sufism.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،



فهذه ورقة علمية أعرض فيها سيرة ومسيرة وجهود عَلَم فذ من أعلام الفكر الإسلاميّ، سخّر قلمَه، وأفنى عمرَه في خدمة كتاب الله ﷻ، وبرز في جوانب عدّة من جوانب العلم والمعرفة، وكان له دور كبير في الاستفادة والإفادة تأليفًا وتدريسًا، قولًا وعملًا، ذلكم هو الشيخ الإمام الخطيب الشربيني (المتوفى سنة ٩٧٧هـ)، الذي قام بتفسير القرآن الكريم في كتاب وسمه بـ(السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير).

وقد اطّلعتُ على هذا السّفر القيّم، فوجدتُه قد حوى في ثناياه العديد من المسائل والقضايا الكلامية، وتعرض فيه لمخالفي أهل السنة من معتزلة وجبرية وكرامية وغيرهم؛ إذ الناظر في تفسيره يجد ذلك واضحًا غاية الوضوح.

وقد بان لي أنّ الكلام على الجانب العقديّ عند الخطيب الشربينيّ لم يحظ بالدراسة والاهتمام؛ لذا أردت أن أبيّن كيفيّة مناقشته هذا الجانب، وكيفيّة ردّه على خصوم أهل السنة، خصوصًا إذا علمنا أنّه قد استفاد من تمكنه من اللغة والبلاغة في عرضه للموضوعات الكلاميّة.

هذا بالإضافة إلى أنني قد وقفتُ على رسالة قيّمة له وُسمت بـ(**عقيدة في التوحيد والتصوف**)، لم تطلها يد التحقيق، وقد لاحت رغبتي في إخراجها والاعتناء بها والإفادة منها؛ إذ اشتملت على مادة علمية مختصرة ومتميزة، ستظهر من خلال التحقيق، الذي فيه ما فيه من فوائد كثيرة أرجو أن أكون قد وفقت إلى شيء منها، فمن خلاله يتمرن الباحث على التعامل مع قراءة المخطوطات وتحقيقها والتغلب على صعوباتها، وكذلك يتوغل في كثير من العلوم والمعارف، ويرجع إلى العديد من المراجع والمصادر التي تخدم النص وتقربه للقارئ...، وغير ذلك من فوائد تنمّي حصيلة الباحث العلمية.

ولمّا كان الأمر كذلك فقد شرح الله صدري لكتابة هذا البحث، فقمت بدراسة حياة هذا الإمام مبينًا آراءه الكلاميّة، ومحققًا رسالته القيّمة؛ حتى ينـالَ حقّه من العناية والاهتمام به وبمؤلفاته.

وعلى الرغم ما لهذا الرجل من مكانة رفيعة ومنزلة عالية في مختلف مجالات العلم والمعرفة في اللغة والفقه والتفسير وغيرها، إلا أنّ مصادر ترجمته لم تمدنا إلّا بالقليل عن حياته الاجتماعيّة والعلميّة، وقد حاولت ـ قدر المستطاع ـ صياغة وتطويع تلك المادة من أجل رسم صورة كلية لحياة الشيخ الخطيب الشربينيّ، وبيان آرائه الكلاميّة، وقد عنونتُ هذا البحث بـ (**الخطيب الشّربينيّ وآراؤه الكلامية مع تحقيق رسالته "عقيدة في التوحيد والتصوف"**).

خطة البحث: وقد سرت في ذلك كلّه وفق خطة جاءت في مقدمة، وقسمين، وفهارس.

أما المقدمة: فذكرت فيها سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما القسم الأول فقد جعلته بعنوان: الخطيب الشربيني وآراؤه الكلامية، وفيه فصلان، وخاتمة:

الفصل الأول: عن الشيخ الإمام الخطيب الشّربينيّ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأته وحياته.

المبحث الثاني: مؤلفاته، ووفاته.

الفصل الثاني: آراء الخطيب الشّربينيّ الكلاميّة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان وما يتعلق به.

المبحث الثاني: كلام الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: رؤية الله سبحانه وتعالى.

المبحث الرابع: أفعال العباد.

المبحث الخامس: النبوات وبعض ما يتعلق بها.

المبحث السادس: في بعض الأمور السمعية.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث.

وأما القسم الثاني: فقد جاء بعنوان: قسم التحقيق، وجعلته فصلين:

الفصل الأول: دراسة في المخطوطة، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأفكار الأساسية للرسالة.

المبحث الثاني: وصف المخطوط.

المبحث الثالث: منهج التحقيق.

المبحث الرابع: نماذج من لوحات المخطوطة.

الفصل الثاني: في النص المحقق.



ثم ذيلت البحث بفهرس للمراجع، وآخر للموضوعات.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أنهج عدة مناهج من أهمها: المنهج التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج النقدي.

وبعد: فإن كنت قد أصبت فذلك فضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت قصارى جهدي في هذا الموضوع.


والله أسأل أن يوفقني لما يحب ويرضى . . .



القسم الأول

الخطيب الشربيني وآراؤه الكلامية

ويشتمل هذا القسم على فصلين:

الفصل الأول

عن الشيخ الإمام الخطيب الشّربينيّ.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأته وحياته

أولاً: اسمه، ونسبه:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام، محمد بن أحمد، شمس الدين، الخطيب الشّربينيّ، القاهري، الشافعي، النحوي، المتكلم، المفسر [(١)].

ثانيًا: مولده، ونسبته، ولقبه:

ولد الخطيب الشّربينيّ –رحمه الله ﷻ–في شربين، وهي مدينة من مدن محافظة الدقهلية بمصر، وقد نسب إليها، فقيل له: الشّربينيّ [(٢)].

وقد لُقب بـ "شمس الدين"، كما لُقب بـ "الخطيب" أي: أنه كان خطيبًا في بلده شربين،

---

(١) مصادر ترجمته: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ)، (٣/ ٧٢ وما بعدها)، ت/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، (١٠/ ٥٦١-٥٦٢)، ت/ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، (٦ / ٦)، دار العلم للملايين، ط/ الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، (٢/ ٢٥٠)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، معجم المؤلفين، عمر كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، (٨/ ٢٦٩)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٥٦١)، الأعلام (٦/ ٦)، الكواكب السائرة (٣/ ٧٢ وما بعدها).

وعرف مسجده باسم "مسجد شمس الدين الشّربينيّ"(١).

هذا ولم تحدد لنا كتب التراجم زمان مولده أو شيئًا عن نشأته وأسرته من الناحية العلمية والاجتماعية – فيما تحت يدي من مصادر –.

ثالثًا: شيوخه وتلاميذه:

حفظ الخطيب الشّربينيّ القرآن الكريم وهو صغير، ثم انتقل إلى القاهرة؛ ليتلقى العلم، فاختلف إلى مجالسه، حيث كانت تلك المجالس تتناول شتى قضايا العلم المعروفة في زمنه، فحظي بالتلمذة على كثير من شيوخ عصره، المشهود لهم بالإمامة في شتى فنون المعرفة، كالفقه والتفسير واللغة وغيرها، فاستقى من علمهم، وارتوى من فنونهم، وتأثر بأخلاقهم.

واستقصاء ذكر شيوخه ليس من غرضنا، لذلك أكتفي بذكر ترجمة موجزة لأبرز هؤلاء الشيوخ المؤثرين في حياته العلمية:

١-**شيخ الإسلام زَكَرِيَّا الأَنْصَارِي**: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعيّ، ولد في سنيكة (بشرقية مصر سنة ٨٢٣هـ)، وتعلم في القاهرة، وكف بصره (سنة ٩٠٦ هـ)، ولاه السلطان قايتباي (٨٢٦-٩٠١هـ) قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح، ولما ولي رأى من السلطان عدولًا عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي (سنة ٩٢٦هـ) (٢).

٢-**الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر المشهدي**، الصوفي، الشافعي، ولد في سنة (٨٦٢هـ)، وأخذ عن الشهاب الحجازي الشاعر وعن غيره، وممن أخذ عنه الشيخ نجم الدين الغيطي، سمع عليه الموطأ برواية أبي مصعب، وقطعة من مسند الطيالسي، وكانت وفاته سنة (ت ٩٣٣هـ)(٣).

٣-**الشيخ شهاب الدين أحمد البرلسي**، الملقّب بالشيخ عميرة، أخذ العلم عن الشيخ عبد الحق

---

(١) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني، (ص ٤٧)، ت/ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط/ الثالثة، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: الأعلام (٣/ ٤٦).

(٣) ينظر: الكواكب السائرة (١/ ٢٧).



السّنباطي، والنّور المحلّى، وكان عالمًا، زاهدًا، ورعًا، حسن الأخلاق، يدرّس ويفتي، وانتهت إليه الرئاسة في تحقيق المذهب، وقد توفي سنة (ت ٩٥٧هـ)(١).

٤-**الشيخ شهاب الدين أحمد بن حمزة الرّملي**، المنوفي، الشافعي، أخذ عن القاضي زكريا، ولازمه، وانتفع به، وكان يجلّه، وأذن له بالإفتاء والتدريس، وأن يصلح في كتبه في حياته وبعد مماته، ولم يأذن لأحد سواه في ذلك، وقد جمع الشيخ الخطيب الشّربينيّ فتاويه فصارت مجلدًا، وأخذ عنه الخطيب الشّربينيّ، والشّهاب الغزّي، وكانت وفاته سنة (ت ٩٥٧هـ)(٢).

وغيرهم كثير من مشايخ عصره كان لهم أبلغ الأثر في حياة الخطيب الشّربينيّ وفي تكوينه العلمي حتى وصل إلى مرتبة الإفتاء والتدريس، فأجازوه لذلك، فدرّس وأفتى في حياتهم(٣).

قال الخطيب في مغني المحتاج معددًا بعض شيوخه: "حيث أقول شيخنا فهو المخلص الذي طار صيته في الآفاق، وكان تقيًّا نقيًّا زكيًّا، ونفع الله به وبتلامذته، ذو الفضائل والفواضل: شيخ الإسلام زكريا، أو شيخي فهو فريد دهره، ووحيد عصره، سلطان العلماء، ولسان المتكلمين، عمدة المعلمين، وهداية المتعلمين، حسنة الأيام والليالي شهاب الدنيا والدين الشهير بالرملي، أو الشارح: فالجلال المحقق المدقق المحلي، أو الشيخان أو قالا أو نقلا: فالرافعي والنووي"(٤).

وأما **تلاميذه** فقد انتفع بعلمه تدريسًا وكتبًا خلق لا يكادون يحصون، حملوا إلينا مؤلفاته، وأصبحوا أئمة للناس من بعده، وهذه ترجمة موجزة لبعض تلاميذه الذين وقفت عليهم:

---

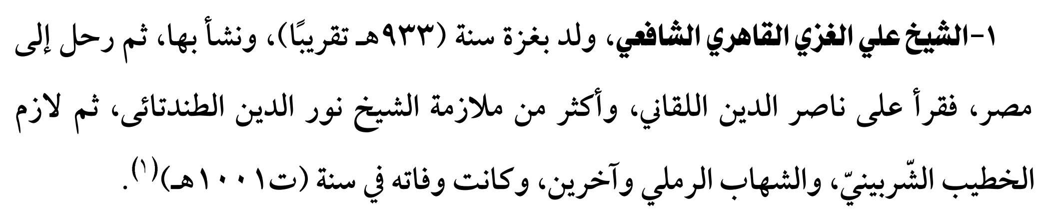
(١) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٤٥٤).

(٢) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٤٥٤)، الكواكب السائرة (٢/ ١٢٠).

(٣) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٥٦١)، الكواكب السائرة (٣/ ٧٢)، الأعلام (٦/ ٦)، الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لـعلي مبارك باشا، (١٢/ ٣٣٥)، دار الكتب والوثائق القومية، ط/ الثانية، ٢٠٠١م، مقدمة الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (ص ٤٦).

(٤) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشّربينيّ، (١/ ٨٦)، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.





١-**الشيخ علي الغزي القاهري الشافعي**، ولد بغزة سنة (٩٣٣هـ تقريبًا)، ونشأ بها، ثم رحل إلى مصر، فقرأ على ناصر الدين اللقاني، وأكثر من ملازمة الشيخ نور الدين الطندتائى، ثم لازم الخطيب الشّربينيّ، والشهاب الرملي وآخرين، وكانت وفاته في سنة (ت١٠٠١هـ)[١].

٢-**الشيخ عبد الرحمن بن محمد**، المنعوت زين الدين بن شمس الدين الخطيب الشّربينيّ، الشافعي المصري، كان من أهل العلم والبراعة في فنون كثيرة، حسن الأخلاق، كثير التواضع، أخذ عن والده وغيره، وكان كثيرًا ما يحج ويجاور بمكة، وكانت وفاته سنة (ت١٠١٤هـ)[٢].

٣-**الشَّيْخ الْفَقِيه الْعَارِف بالله ﷺ نعمان العجلونى الحبراصي**، سافر إلى مصر، وقرأ على الخطيب الشّربينيّ، والشمس محمد الرملي وغيرهما، وكان يستحضر مسائل الفقه من شرح المنهاج لشيخه الخطيب كأنه ينظر إليه، ولمّا رجع من طلب العلم إلى بلاده كان يحج في كل عام، ولم ينقطع عن الحج إلا قليلًا، توفي سنة (ت ١٠١٩هـ)[٣].

٤-**الشيخ عبد الرحمن بن يوسف بن علي**، الملقب زين الدين بن القاضي جمال الدين بن الشيخ نور الدين البهوتي الحنبلي، ولد بمصر وبها نشأ، وقرأ الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث، ومن مشايخه في فقه مذهبه: والده وجده، والشيخ شهاب الدين البهوتي الحنبلي وغيرهم، وفي فقه الإمام مالك الشيخ محمد الفيشي، وفي فقه الشافعي الخطيب الشّربينيّ [٤].

رابعًا: صفاته ومناقبه:

تعطينا كتب التراجم والسير وصفًا دقيقًا لما كان عليه الخطيب الشّربينيّ من صفات حميدة وأخلاق فاضلة، فكان من جميل خلقه أن أجمع أهل مصر على صلاحه وعلمه وعمله، وزهده وورعه، مع كثرة النُّسكِ والعبادةِ، كثير التواضع، شديد الحياء.

---

(١) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ)، (٣/ ١٩٩)، دار صادر – بيروت.

(٢) ينظر: المرجع السابق (٢/ ٣٧٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٤/ ٤٥٥).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢/ ٤٠٥).



وكان من عادته أن يعتكف من أول رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد، كما كان إذا حجَّ لا يركب إلا بعد تَعبٍ شديدٍ حيث كان يمشي كثيرًا، وينزل عن الدَّابةِ، وكان أثناء طريق الحج يكثر من تعليم الناس المناسك، وآداب السفر، ويحثهم على الصلاة، ويعلمهم كيفية القصر والجمع، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف.

وكذلك كان –رحمه الله –جوادًا كريمًا يعطي السائل عشاءه، ويبيت تلك الليلة طاويًا، وفي غالب لياليه يكتفي بشرب ماء زمزم، وكان يكثر من تلاوة القرآن الكريم في الطريق وغيره، وكان يؤثر الخمول وعدم الشهرة، ولا يكترث بأشغال الدنيا(١).

وهو ومع ورعه وتقواه لم يكتب حرفًا في كتابه: «مغنى المحتاج» وكذلك في تفسيره للقرآن الكريم "السراج المنير" إلا بعد أن يذهب إلى زيارة رسول الله ﷺ، ويصلى ركعتين بنية الاستخارة في الروضة الشريفة.

قال الخطيب في مقدمة كتابه مغني المحتاج: "سألني بعض أصحابي أن أجعل مثله ـ أي مثل شرح التنبيه ـ على منهاج الإمام الرباني الشافعي الثاني: محيي الدين النووي، فترددت في ذلك مدة من الزمان؛ لأني أعرف أني لست من أهل ذلك الشأن، حتى يسر الله لي زيارة سيد المرسلين ﷺ وعلى سائر النبيين، والآل والصحب أجمعين، استخرت الله في حضرته، بعد أن صليت ركعتين في روضته، وسألته أن ييسر لي أمري، فشرح الله لذلك صدري، فلما رجعت من سفري، واستمر ذلك الانشراح معي، شرعت في شرح يوضح من معاني مباني منهاج الإمام النووي ما خفا، سميته: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج"(٢).

وحينما عزم على تفسير القرآن الكريم تردد في ذلك وتوقف، وتحرز من ذلك وتحفظ، يقول: "ألّف

(١) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٥٦٢)، الفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من أئمة الشافعية، محمد بن سليمان الكردي، (ص ٢٨٨ وما بعدها)، ت/ بسام الجابي، دار نور الصباح، لبنان، ط/ (١)، ٢٠١١م، مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود، (ص ٢٥٩-٢٦٠)، دار الكتاب المصري-القاهرة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: مغني المحتاج (١/ ٨٥-٨٦).

أئمة السلف كتبـًا في معرفة أحكامه ـ أي: القرآن الكريم ـ ونزوله كل على قدر فهمه، ومبلغ عمله، فشكر الله ﷻ سعيهم ورحم كافتهم، ثم خطر لي أن أقتفي أثرهم وأسلك طريقتهم لعل الله أن يرزقني من مددهم، ويعود عليّ من بركتهم، فتردّدت في ذلك مدّة من الزمان؛ خوفـًا من الدخول في هذا الشأن...، إلى أن يسر الله ﷻ لي زيارة سيد المرسلين ﷺ وعلى سائر النبيين والآل والصحب أجمعين في أول عام (٩٦١هـ) تسعمائة وواحد وستين، فاستخرت الله ﷻ في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته، وسألته أن ييسر لي أمري، فشرح الله ﷻ لذلك صدري، فما رجعت من سفري، واستمر ذلك الانشراح معي، وكتمت ذلك في سري حتى قال لي شخص من أصحابي: (رأيت في منامي أن النبي ﷺ أو الشافعي يقول لي: قل لفلان يعمل تفسيرًا على القرآن)...، ثم سألني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين بعد أن رأوني فرغت من شرح «منهاج الطالبين» أن أجعل لهم تفسيراً وسطـًا بين الطويل الممل والقصير المخل، فأجبتهم إلى ذلك"[١].



(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٢-٣).



المبحث الثاني

مؤلفاته، ووفاته

أولاً: مؤلفاته:

لقد ذخرت المكتبة الإسلامية والعربية بالكثير من مصنفات الخطيب الشّربينيّ النفيسة، التي امتاز فيها بالبحث الدقيق والعلم الغزيز، فألف في الفقه والتفسير واللغة...، فتلقت الأمة ذلك بالقبول والدراسة، فشرقت وغربت، وأغارت وأنجدت، وما زال بعضها يدرس ويقرأ في المحافل العلمية، ومن أبرزها ما يلي:

١-**الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، وهو شرح مطول حافل على (متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي) للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني (٥٣٣-٥٩٣هـ)، وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٧٢هـ، وطبع في مجلدين بمطبعة بولاق ١٢٩١هـ، ثم تكرر طبعه.

٢-**مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، وهو كتاب في فقه الشافعية بشرح منهاج الطالبين، لأبي زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ)، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٨هـ في أربعة مجلدات، ثم تكرر طبعه.

٣-**شرح التنبيه**، وهو شرح على كتاب التنبيه في فروع الشافعية، لأبى إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦هـ)، مطبوع.

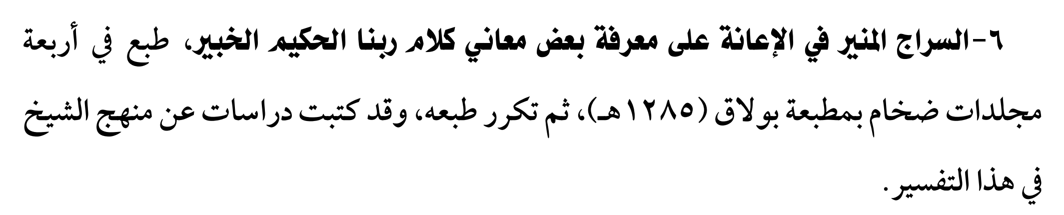
قال ابن العماد: (شرح كتاب المنهاج والتنبيه شرحين عظيمين، جمع فيهما تحريرات أشياخه بعد القاضي زكريا، وأقبل الناس على قراءتهما، وكتابتهما في حياته، وله على الغاية شرح مطول حافل) (١)، يقصد: كتاب الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع.

٤-**شرح منهاج الدين في شعب الإيمان**؛ وهو للشيخ أبي عبد الله حسين بن الحسن الحليمي (ت٤٠٣هـ)، وهو كتاب جليل، فيه أحكام كثيرة ومسائل فقهية وغيرها ممّا يتعلق بأصول الدين.

٥-**مناسك الحج على الفقه الشافعي**، مطبوع في مجلد واحد.

---

(١) شذرات الذهب (١٠/ ٥٦١)، وينظر: الكواكب السائرة (٣/ ٧٢).



٦-**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، طبع في أربعة مجلدات ضخام بمطبعة بولاق (١٢٨٥هـ)، ثم تكرر طبعه، وقد كتبت دراسات عن منهج الشيخ في هذا التفسير.

٧-**سواطع الحكم**؛ وهو شرح على حكم ابن عطاء الله السكندري (٦٥٨-٧٠٩هـ).

٨-**رسالة في البسملة والحمد لله**، وقد حققها د/ ياسين إبراهيم محمود، ونشرت بمجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية.

٩-**فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك** (٦٠٠-٦٧٢هـ)، مطبوع في ثلاثة أجزاء.

١٠-**شرح شواهد قطر الندى وبل الصدى لا بن هشام**، مطبوع.

١١-**تقريرات على كتاب المطول في البلاغة** للسعد التفتازاني (٧٢٢-٧٩٢هـ)، مطبوع.

١٢-**رسالة في بر الوالدين وصلة الرحم**(١).

١٣-**عقيدة في التوحيد والتصوف**، وهو الكتاب الذي سيأتي الكلام عنه مفصلًا في القسم الثاني بإذن الله ﷻ.

وبذلك يمكن القول بأن الخطيب الشّربينيّ قد تبوأ مكانة علمية رفيعة في عصره، وترسَّخت هذه المكانة بعد تأليفه كتبًا في شتى المجالات المعروفة في زمنه من فقه وتفسير ونحو وبلاغة ...، فهو شخصية علمية فذة، وذو ثقافة واسعة متنوعة، يدل على ذلك مصنفاته، وما ذكره المؤرخون عنه.

ثانيًا: وفاته:

توفي الخطيب الشّربينيّ -رحمه الله ﷻ- بعد حياة متألقة حافلة بالعلم والعمل بالقاهرة بعد العصر من يوم الخميس، الثامن من شهر شعبان، سنة سبع وسبعين وتسعمائة (٩٧٧هـ)، ودفن بها، وله مزارة بجوار قرافة المجاورين.

---

(١) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٥٦١)، وينظر: الكواكب السائرة (٣/ ٧٢)، هدية العارفين (٢/ ٢٥٠)، الأعلام (٦/ ٦)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٦٩)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد البغدادي، (٤/ ٤٤٨)، (٤/ ٥٨٧) (٤/ ٦٨٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.



ويقول المؤرخون حينما ينتهون من الحديث عن حياته: "وبالجملة: كان آية من آيات الله ﷻ، وحجة من حججه على خلقه" (١).

فرحمه الله ﷻ رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.



(١) ينظر: شذرات الذهب (١٠/ ٥٦٢)، الكواكب السائرة (٣/ ٧٣)، الأعلام (٦/ ٦)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، (ص ١٢٦١)، ت/ محمد البيطار، دار صادر، بيروت، ط/ (٢)، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، مناهج المفسرين، (ص ٢٦٠).



الفصل الثاني

آراء الخطيب الشّربينيّ الكلامية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول

الإيمان وما يتعلق به

مسألة الإيمان والكفر من المسائل المهمة التي شغلت أذهان العلماء، والتي كانت مدار خلاف بينهم، فاختلفوا أولاً في حدّه وحقيقته، ثمّ في كونه يزيد وينقص أو لا، وفي اعتبار الأعمال، وفي حكم مرتكب الكبيرة، هل هو مؤمن أو منافق أو كافر؟ وهل هو مخلّد في النّار أو لا؟ إلى غير ذلك من الخلافات التي حاولوا جاهدين أن يجدوا لها حلًّا يتوافق مع الكتاب الكريم ومع السنّة النبويّة الشريفة.

هذا وسيقتصر الحديث في هذه المسألة على النقاط التالية:

١-حقيقة الإيمان والكفر. ٢-علاقة العمل بالإيمان.

٣-زيادة الإيمان ونقصه وعدمهما. ٤-حكم مرتكب الكبيرة.

٥-حكم إيمان المقلِّد.

أولاً: حقيقة الإيمان والكفر:

١-حقيقة الإيمان: يطلق الإيمان في أصل **اللغة** على معنيين:

الأول: الأمن الذي هو ضد الخوف، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قريش:٤، أي: جعلهم آمنين منه.

الثاني: مطلق التّصديق، حقًّا كان أو باطلًا، يُعدى بالباء لاعتبار معنى الإقرار والاعتراف كقوله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ البقرة: ٢٨٥، ويُعدى باللام لاعتبار معنى الإذعان والقبول كقوله ﷻ حكاية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ يوسف: ١٧، أي: وما أنت بمصدق لنا.

أما في **الاصطلاح** فقد اختلف العلماء في بيان حقيقته على عدة مذاهب، أشهرها ثلاثة:

الأول: ذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية إلى أنّ الإيمان هو التصديق القلبيّ، أي: تصديق



النبيّ ﷺ فيما عُلم مجيئه به من الدين بالضرورة.

الثاني: ذهب الإمام أبو حنيفة وبعض المتكلمين إلى أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان.

الثالث: ذهب المعتزلة والخوارج وأهل الحديث والفقهاء إلى أن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، مع اختلافهم بعد ذلك في منزلة هذه الأجزاء التي رُكب منها الإيمان [١].

رأي الخطيب الشّربينيّ في حقيقة الإيمان:

بعد أن عرض الخطيب الشّربينيّ لآراء العلماء في بيان حقيقة الإيمان رأى أن أصح الآراء ما ذهب إليه محققو الأشاعرة والماتريدية، وهو أن الإيمان هو التصديق فقط، أي: التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ، كالتوحيد، والنبوّة، والبعث، والجزاء... [٢].

ثمّ **استدلّ** على ما رآه وهو أنّ الإيمان هو التصديق وحده بأنّ الله ﷻ قد أضاف الإيمان إلى القلب، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ المجادلة: ٢٢، وقال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ النحل: ١٠٦، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ المائدة: ٤١ [٣].

فقد دلّت هذه الآيات وغيرها على أنّ القلب محل الإيمان، ولا محل في القلب إلا التصديق.

وبناء على ما سبق قرّر الخطيب الشّربينيّ أنّ من ادّعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنـًا؛ لأنّ من تفوّه بالشهادتين فارغ القلب عمّا يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنـًا [٤].

---

(١) ينظر: المواقف للإيجي، (٣/ ٥٣٣ وما بعدها)، ت د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط/ (١)، ١٩٩٧م، شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، (٢/ ٢٤٧-٢٤٨)، دار المعارف النعمانية-باكستان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، تحفة المريد على جوهرة التّوحيد، البيجوري، (ص ٩٢ وما بعدها)، ت. د/ على جمعة، دار السلام، ط/ (١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: السراج المنير (١/ ١٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١/ ١٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١/ ٢٢).

٢-حقيقة الكفر:

الكفر **لغة**: ستر النعمة، وأصله الكفر بالفتح، وهو الستر، ومنه قيل للزارع: كافر؛ لأنّه يستر الحب بالتراب، وقيل لليل: كافر؛ لأنّه يستر الأشياء بظلمته، فالكافر يستر الحق بجحوده.

أمّا في **الشرع** فقد عرّفه الشّربينيّ بأنّه إنكار ما عُلم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به(١).

وقد قسّم الخطيب الشّربينيّ الكفر إلى أربعة أقسام: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق:

فكفر الإنكار هو ألّا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به.

وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه، ولا يقرّ بلسانه، ككفر إبليس واليهود، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ البقرة: ٨٩.

وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به، ككفر أبي طالب.

وأمّا كفر النفاق فهو أن يقرّ باللسان، ولا يعتقد بالقلب.

ثمّ ذكر الخطيب أنّ جميع هذه الأقسام من لقي الله ﷻ بواحد منها لا يغفر له، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ النساء: ٤٨ (٢).

ثانيًا: علاقة العمل بالإيمان:

رأى جمهور الأشاعرة والماتريدية أن الإيمان الذي هو التصديق القلبي يدلُّ على أن الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان ليست جزءًا من حقيقة الإيمان، بل هي ثمرة من ثمراتِهِ وفائدةٌ من فوائده، وعلى هذا قرر الخطيب الشّربينيّ أن العمل الصالح ليس من حقيقة الإيمان، بل هو شرط كمال؛ إذ الإيمان عبارة عن فرائض وشرائط وحدود وسنن، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها من غير استحلالٍ، ولا عنادٍ، ولا شكٍّ في مشروعيته لم يستكمل الإيمان، وإلا كان كافرًا لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٢٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/ ٢٠).

وقد **استدلّ** على ما رآه بعدة أدلة، منها:

١-أنّ الله قد عطف على الإيمان العمل الصالح في مواضع لا تحصى، وقرنه بالمعاصي كذلك.

فقال ﷻ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ البقرة: ٢٥، **فقد عطف الله** ﷻ **العمل** الصالح على الإيمان ممّا يدلّ على أنّه خارج عن مسمّى الإيمان؛ إذ الأصل أنّ الشيء لا يُعطف على نفسه، ولا على ما هو داخل فيه.



وقال ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ الحجرات: ٩، **فقد قرن** ﷻ **بين الإيمان** والمعصية وهي القتل، فلو لم يكن الإيمان هو التصديق فقط، بل هو وترك المعاصي لم يكونوا مؤمنين، فالعمل ليس من حقيقة الإيمان.

٢-أنّ الله ﷻ قد وجه الأمر والنهي إلى المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾البقرة: ١٧٨، وعليه فلا يكون العمل جزءًا من حقيقة الإيمان.

وما يمكن أن يُعترض به من أن الإمام الشافعيّ ﷺ وغيره قال: إنّ الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، أجاب عنه بأن ذلك محمول على الإيمان الكامل الذي ينجو به الإنسان من دخول النار ابتداء، وليس ما يكون به النجاة من الخلود في النار [(١)].

فالخطيب الشّربينيّ بذلك موافق لما ذهب إليه جمهور الأشاعرة والماتريدية.

ثالثًا: زيادة الإيمان ونقصه وعدمهما:

اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصه وعدمهما على ثلاثة مذاهب:

-**الأول:** أن الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وهذا مذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث وغيرهم.

ورأى بعض الأشاعرة أن التصديق متى انخرم منه أدنى شيء بطل الإيمان [(٢)].

---

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ١٧). (١/ ٣٧)، (١/ ٥٥٤).

(٢) الإنصاف للباقلاني (ص١٨).

وقد استدلوا على ذلك بأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان: لكان إيمان آحاد الأمة، بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة -عليهم الصلاة والسلام-، واللازم باطل، فكذا الملزوم ـ وهو قوله: لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان ـ(١).

-**الثاني:** أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة وبعض علماء الكلام، **واستدلوا على ذلك** بأن الإيمان اسمٌ للتصديق البالغ حدَّ الجَزْم المسمى بالإذعان، وهذا لا يُتَصَوَّر فيه قبول زيادة أو نقصان؛ فالمصدِّق إذا ضَمَّ إلى تصديقه طاعة، أو ارتكب معه معصية: فتصديقه بحاله، لم يتغيَّر أصلًا، وإنما يتفاوت إذا كان اسمًا للطاعة المتفاوتة قلّةً وكثرةً.

وأجابوا عمَّا تمسّك به الأولون بأن المراد: الزيادة بحسب زيادة ما يؤمَن به، والصحابة رضى الله عنهم كانوا آمنوا في الجملة، وكانت الشريعة لم تتم، وكانت الأحكام تنزل شيئًا فشيئًا، فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدَّد منها (٢).

-**الثالث:** أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهو مذهب الخطابي، حيث قال: الإيمان قولٌ، وهو لا يزيد ولا ينقص، وعملٌ، وهو يزيد وينقص، واعتقادٌ، وهو يزيد ولا ينقص، فإذا نقص ذهب(٣).

رأي الخطيب الشّربينيّ في زيادة الإيمان ونقصه وعدمهما:

رأى الخطيب الشّربينيّ أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وقد **استدل** على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾، وبما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا: يا رسول الله، إنّ الإيمان يزيد وينقص، قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى

---

(١) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر للشيخ الأشعري، (ص١٥٥)، ت/ عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة-السعودية، ١٤١٣هـ، إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، للشيخ عبد السلام اللقاني، (ص٦١)، ت الشيخ/ محمد محيي عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط/ (٢)، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

(٢) ينظر: إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، (ص٦٦).

(٣) ينظر: شرح المواقف (٣/ ٥٤٣-٥٤٤)، شرح المقاصد (٢/ ٢٦١ وما بعدها)، إتحاف المريد (ص ٦١ وما بعدها).

يدخل صاحبه النار» [١]، وبما روي عن أبي هريرة: " لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم"[٢].

وبما روي عنه أيضًا: أنّ رسول الله ﷺ قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" [٣].



ففي هذا الحديث دليل على أنّ للإيمان أدنى وأعلى، فيكون قابلاً للزيادة والنقص[٤].

ثم رأى الخطيب الشّربينيّ أن نفس التصديق قد يزيد وقد ينقص، فقال: الإيمان يزيد بزيادة التصديق، ثم بيّن ذلك بوجهين:

الوجه الأوّل: زيادة الإيمان ونقصه إنما هو عن كثرة النظر، ووضوح الأدلة، بمعنى: أن كل مَن كانت عنده الدلائل أكثر وأقوى كان أزيد إيمانًا؛ لأنّ عند حصول كثرة الدلائل وقوّتها يزول الشك ويقوى اليقين، فتكون معرفته بالله أقوى، فيزداد إيمانه...

الوجه الثاني: الزيادة في الإيمان إنما هي بنزول الفرائض والأخبار في مدة النبي ﷺ، أي: أنهم كانوا يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله، ولما كانت التكاليف متوالية في زمنه ﷺ فكلما تجدد تكليف كانوا يزدادون تصديقًا وإقراراً.

ثم أيّد الخطيب كلامه بأن مَن صدّق إنسانًا في شيئين كان أكثر ممن يصدّقه في شيء واحد، فقوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ معناه: أنهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا بإقرار جديد، فكان ذلك زيادة في الإيمان والتصديق[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، المقدمة باب: الإيمان، رقم (٧٤)، (١/ ٢٨)، ت/ شعيب الأرنؤوط وغيره، دار الرسالة العالمية، ط/ (١)، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، باب: القول في زيادة الإيمان ونقصانه، (١/ ٦٩) حديث رقم (٣٦)، ت: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٣) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: شعب الإيمان، رقم (٣٥)، (١/ ٦٣)، بلفظ قريب، ت الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٤) ينظر: السراج المنير (١/ ٢٦٧)، (١/ ٥٥٣)، (١/ ٦٥٨).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١/ ٥٥٣).

من خلال ما سبق يظهر لنا أن الخطيب الشّربينيّ قد وافق قول جمهور الأشاعرة والماتريدية والمحدثين، وهو أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ورأى أن هذا القول أولى بالقبول من غيره؛ إذ أيدته النصوص المتعددة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كما رأى أن التصديق نفسه يقبل الزيادة والنقص، ويؤيده قول الإمام ابن حجر: "المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة، ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى إنه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقينًا وإخلاصًا وتوكلًا منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها..."(١).

رابعًا: حكم مرتكب الكبيرة:

مسألة مرتكب الكبيرة من المسائل التي أُثيرت كنتيجة لقضية التحكيم، وقد اختلف الرأي حولها:

فذهب **أهل السنّة** إلى أنّ مرتكب الكبيرة التي ما دون الشرك لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان؛ لبقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان، ثم جاء حكم **الخوارج** مخالفًا لما حكم به أهل السنّة، فقالوا بكفر مرتكب الكبيرة، بناء على أنّ العمل ركن من أركان الإيمان، فمن تركه حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، ثم ظهرت **المرجئة** فتوقفوا وأرجأوا أمره إلى الله ﷻ يوم القيامة ما دام مؤمنًا.

وقد روي عن الإمام **الحسن البصري** ﷺ أنه جعل مرتكب الكبيرة في حكم المنافق، وظن **واصل ابن عطاء** أنّه في مقدوره المجيء بحكم خير من هذه الأحكام، فقرر أنّ مرتكب الكبيرة لا يكون مؤمنًا ولا كافرًا ولا منافقًا، بل في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، ويخلد في النار، ويعذب بأقل

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (١/ ٤٦)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.

من عذاب الكفار، بناء على أنَّ الأعمال عندهم جزء من حقيقة الإيمان[١].

رأي الخطيب الشّربينيّ في مرتكب الكبيرة:

قبل أن يذكر الخطيب الشّربينيّ رأيه في **مرتكب الكبيرة يعرفها أولاً** بأنّها ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة، كالربا، وأكل مال اليتيم، وشهادة الزور، ونحوها من الكبائر.

أو هي ما توعّد عليها بنحو لعْن أو غضب بخصوصها في الكتاب أو السنّة غالبًا كالزنا ونحوه[٢].



وبالجملة المراد بالكبيرة هنا التي ما دون الشرك بالله ﷻ.

هذا وقد رأى الخطيب الشّربينيّ أنّ الخارج عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة، ولم تغلب طاعاته على معاصيه يعد فاسقًا، ولا يخرجه ذلك عن الإيمان، إلا إذا اعتقد حل المعصية، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، قال ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ الحجرات: ٩، ورأى أنّه لا يبقى مخلداً في النار، وذلك كلّه بناء على أنّ العمل ليس جزءًا من حقيقة الإيمان[٣].

وقد احتج بقول الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين، للإمام الأشعري، (١/ ١٦٨)، (١/ ٢١٣)، ت. الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية–صيدا–بيروت، ١٤١١هـ–١٩٩٠م، الفرق بين الفرق الإسفراييني، (ص١٥)، (ص ٥٥–٥٦)، دار الآفاق الجديدة–بيروت، ط/ (٢)، ١٩٧٧م، الملل والنحل الشهرستاني (١/ ٤٥)، (١/ ١٣٨)، ت/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة -بيروت، ١٤٠٤هـ، شرح المقاصد، (٢/ ٢٥٧–٢٥٨)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، (٣/ ١٢٨)، (٤/ ١٤٥)، مكتبة الخانجي–القاهرة، بدون ت، شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (ص ١٣٧–١٣٨)، ت. د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط/ (٣)، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة، (ص ١١٣ وما بعدها)، دار الفكر العربي –القاهرة، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، د/ محمد الفيومي، (ص ٤٠٤–٤٠٥)، دار الشروق–القاهرة، ط/ (١)، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٢) ينظر: السراج المنير (١/ ٢٩٨) (١/ ٤٧٢)، شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص٧١)، ت/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية–القاهرة، ط/ (١)، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

(٣) ينظر: السراج المنير (١/ ٤١).

حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ التوبة: ١٧، وذلك من وجهين:

الأوّل: قوله ﷻ: {وفي النار هم خالدون} يفيد الحصر، أي: هم فيها خالدون لا غيرهم، ولمّا كان هذا وارداً في حقّ الكفار ثبت أنّ الخلود لا يحصل إلا للكافر.

الثاني: أنّه ﷻ جعل الخلود في النار جزاء للكفار عن كفرهم، فلو كان هذا الحكم جزاء لغير الكافر لمَا صح تهديد الكافر به [١].

وبذلك يكون الخطيب الشّربينيّ قد وافق مذهب أهل السنّة القائل بأن مرتكب الكبيرة غير خارج من الإيمان، وخالف مذهب المعتزلة في أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار؛ إذ الخلود لا يكون إلا للكفار، ومرتكب الكبيرة لا يعد كافرًا إلا إذا استحل المعصية.

خامسًا: حكم إيمان المقلِّد:

المقلِّد: هو الذي أخذ بقول الغير دون أن يعرف دليله.

تحرير محل النزاع: لا خلاف بين العلماء في كون المقلِّد مؤمنًا، تجري عليه أحكام الشريعة الإسلامية ويعامل معاملة المسلمين، ولا يُحكَم عليه بكفر إلّا إذا اقترَن به فعلٌ يدلّ على كفره، كالسجود للصنم، أما في الآخرة ففي صحة إيمانه خلاف بين العلماء على أقوال، أشهرها:

الأول: عدم الاكتفاء بالتقليد، بمعنى: عدم صحة التقليد، فيكون المقلد كافرًا، وعليه السنوسي في الكبرى، والتحقيق أنه رجع عن هذا القول.

الثاني: الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقًا، سواء أوجدت فيه أهلية للنظر أم لا.

الثالث: الاكتفاء به مع العصيان إن كان فيه أهلية النظر، فيكون مؤمنًا عاصيًا؛ إذ ترك ما يقدر عليه، وإلا فلا عصيان؛ لأنّه ما ترك شيئًا إلا وهو عاجز عن تحصيله.

الرابع: ذهبت المعتزلة إلى عدم صحة إيمان المقلد، فقالوا: "إن المقلد لا يأمن خطأ من قلده فيما يقدم عليه من الاعتقاد، وأن يكون جهلًا قبيًحا، والإقدام على ما لا يؤمن كونه جهلًا قبيحًا

(١) ينظر: المرجع السابق (١/ ٥٩٥).



بمنزلة الإقدام عليه مع القطع على ذلك"[١]، وحكي عن أبي هاشم تكفير من لم يعرف الله بالدليل[٢].

والقول الصحيح من ذلك هو القول الثالث؛ إذ هو القول الذي تنصره أدلة الشرع، قال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦ [٣].



رأي الخطيب الشّربينيّ في إيمان المقلّد:

رأى الخطيب الشّربينيّ رأْيَ جمهور المتكلمين القائل بأن إيمان المقلد صحيح، وقد احتج بقول الله ﷻ: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ النصر: ٢ فقال: "إنّ الله ﷻ حكم بصحة إيمان أولئك الأفواج، وجعله من أعظم المنن على نبيه ﷺ، فلو لم يكن إيمانهم صحيحًا لما ذكره في هذا المعرض، ثمّ إنّا نعلم قطعًا أنّهم ما كانوا يعرفون حدوث الأجسام بالدليل، ولا إثبات كونه ﷻ عالمًا بجميع المعلومات التي لا نهاية لها، ولا إثبات الصفات والتنزيهات بالدليل، والعلم بأنّ أولئك الأعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقائق ضروريّ، فعلمنا أنّ إيمان المقلِّد صحيح" [٤].

وما يُمكن أن يُعترض به من أنّهم كانوا عالمين بأصول دلائل هذه المسائل؛ لأنّ أصول هذه الدلائل ظاهرة، وأنّهم كانوا جاهلين بالتفاصيل، أجاب عنه الخطيب الشّربينيّ بأنّ الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان، فإنّ الدليل إذا كان مثلاً من عشر مقدمات فمَن علم تسعة منها، وكان في المقدّمة العاشرة مقلِّداً، كان في النتيجة مقلِّداً لا محالة [٥].

وبناء على ما سبق يتضح لنا أنّ الخطيب الشّربينيّ في حكمه بصحة إيمان المقلد لم يفرق بين كونه قادرًا على النظر الصحيح أو لا، وكأنّه يرى أنّ النظر والاستدلال شرط لكمال الإيمان، لا

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٦٣).
(٢) ينظر: إتحاف المريد (ص٣٨).
(٣) ينظر: تحفة المريد (ص ٧٧ وما بعدها)، إتحاف المريد (ص ٣٥ وما بعدها).
(٤) ينظر: السراج المنير (٤/ ٦٠٢).
(٥) ينظر: المرجع السابق.

لأصل الإيمان.

والخلاصة: أن الخطيب الشّربينيّ رأى أنّ الإيمان هو التصديق فقط، وأنّ العمل شرط كمال، وأنّ الإيمان يزيد وينقص، وأنّ مرتكب الكبيرة التي ما دون الشرك مؤمن غير خارج عن الإيمان، وأنّ إيمان المقلد صحيح.





المبحث الثاني

كلام الله ﷻ

تعتبر مسألة كلام الله ﷻ من المسائل التي كثُر فيها الخلاف، واشتد حولها النزاع، وتعددت فيها آراء العلماء حتى أنّها قد بلغت تسعة آراء، وفقًا لما ذكره شارح العقيدة الطحاويّة [(١)].

وقد عرض الخطيب الشّربينيّ أشهر المذاهب في هذه المسألة، وبيّن موقفه منهم بعد أن ذكر اتفاقهم على أنّ الله ﷻ متكلّم، وذلك على النحو التالي:

أولاً: مذهب المعتزلة: ذهبوا إلى أنّ كلامه ﷻ لفظيٌّ، وهو عبارة عن حروف وأصوات حادثة، غير قائم بذاته ﷻ، بل مخلوق في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطًا في اللوح.

وقد احتجت المعتزلة على ذلك بعدة أدلة، منها:

-قوله ﷻ: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ فصلت: ٢ - ٣ زعموا أنه دليل على أنّ كلام الله حادث مخلوق، وذلك من عدة أوجه:

١-أنّه ﷻ وصفه بكونه منزلاً وتنزيلاً، والمنزل والتنزيل مشعر بالتغيير من حال إلى حال، فوجب أنّ يكون مخلوقـًا.

٢-أنّ قوله ﷻ: {فصلت آياته} يدلّ على أنّ متصرفـًا تصرف فيه بالتفصيل، وذلك لا يليق بالقديم.

٣-أنّه إنما سُمي قرآنـًا؛ لأنّه قرن بعض أجزائه ببعض، وذلك يدلّ على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل.

٤-أنّه ﷻ وصفه بكونه عربيـًا، وإنما صحت هذه النسبة؛ لأنّ هذه الألفاظ إنما دلّت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم، وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بدّ وأن يكون محدثـًا ومخلوقـًا.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، (١/ ١٧٣-١٧٤)، ت/ شعيب الأرناؤوط-عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط/ (١٠)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

وقد دفع الخطيب الشّربينيّ هذا الاحتجاج بأن كل هذه الوجوه المذكورة عائدة إلى الصيغ والحروف والكلمات، وهي حادثة [(١)].

- كما استدلت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي، نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **البقرة:٦**، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ الحجر: ٩ على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقية المخبر عنه، والقديم يستحيل أن يكون مسبوقًا بغيره.

وقد أجاب الخطيب عن هذا الاستدلال بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالمخبر عنه، وحدوث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه، فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في علمه ﷻ، فإنه قديم، ومقتضى تعلقه بغيره حادث.

والحاصل: أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق وهو الكلام اللفظيّ حدوث الكلام النفسيّ [(٢)].

- كما استدل المعتزلة بقوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ البقرة: ١٠٦ على حدوث القرآن، فإنّ التغير والتفاوت من لوازم الحدوث.

وقد أجاب الخطيب عن ذلك أيضًا بأنهما من عوارض الأمور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم لا من عوارض هذا المعنى [(٣)].

وبالجملة: فقد أبطل الخطيب الشّربينيّ مذهب المعتزلة وبيّن فساده بأنّ ذلك الجرم كالشجرة لا يقول: (أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)، فثبت بذلك بطلان ما قالوه [(٤)].

---

(١) السراج المنير (١/ ٥٤٢) (٣/ ٥٠٢) (٣/ ٤٣٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٠).

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة، (ص ٥٣١ وما بعدها)، تفسير الكشاف، المقدمة (ص ١)، دار الكتاب العربي-بيروت، ط/ (٣)، ١٤٠٧هـ، السراج المنير (١/ ٨٥) (١/ ٥١٢) (٢/ ٥٨٢).

(٤) السراج المنير (١/ ٥١٢) (٢/ ٥٨٢)، ينظر: شرح المقاصد (٢/ ١٠٠).

ثانيًا: مذهب بعض الحنابلة والحشوية [١]: وهؤلاء ذهبوا إلى أنّ كلام الله ﷻ حروف وأصوات متقطعة، وتفردوا عن باقي الفرق الإسلاميّة بالقول بأنّ الكلام اللفظيّ قديم [٢].

بطلان مذهب الحنابلة ومن تبعهم: اكتفى الخطيب في بيان بطلان هذا المذهب بما قاله الفخر الرازي، حيث قال: "وهذا القول أخس من أن يلتفت إليه العقل"[٣]؛ وذلك لبداهة حدوث الألفاظ والحروف، وأيضًا لما يترتب عليه من قيام الحوادث بذاته ﷻ، وهو ممتنع بداهة[٤].

وعليه فلا يجوز أن يعتقد أنّ كلام الله صوت وحرف، لا من طريق العقل، ولا من طريق الشرع: فأمّا طريق العقل فلأنّ الصوت والحرف مخلوقان محصوران، وكلام الله يَجِل عن ذلك كلّه، وأمّا من طريق الشرع فلأنّه لم يرد في كلام الله صوت وحرف من طريق صحيحة [٥].

ثالثًا: مذهب أهل السنّة: قرر أهل السنّة أن الله ﷻ في الأزل متكلم آمر ناهٍ، ولا يشترط في الأمر وجود المأمورين، بل الخطاب أزلاً على تقدير وجود المخاطبين، وكلامه ﷻ نفسي قائم بذاته

(١) الحشوية: من الفرق الضالة، يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنّه المراد، سمّوا بذلك؛ لأنّهم كانوا في حلقة الحسن البصري فتكلموا بما لم يرضه، فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة، أي طرفها أو جانبها، فسموا الحشوية. (يراجع: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لـ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، (ص ١٦٣)، دار الكتاب العربي –بيروت، ط/ (٣)، ١٤٠٤هـ، الإبهاج في شرح المنهاج، لابن السبكي، (١/ ٣٦١)، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لـ محمد بن علي التهانوي، (١/٦٧٨)، ت. د/ رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون–بيروت، ط/ (١)، ١٩٩٦م).

(٢) ينظر: المواقف (٣/ ١٢٨)، شرح المقاصد (٢/ ٩٩). السراج المنير (١/ ٥١٢).

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ١٨٦) دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ (١)، ١٤٢١هـ.

(٤) السراج المنير (١/ ٥١٢) وينظر: المواقف (٣/ ١٢٩)، شرح المقاصد (٢/ ٩٩)، التحقيق التام في علم الكلام، محمد الحسيني الظواهري، (ص٧٥)، مكتبة النهضة المصرية، ط/ (١)، ١٣٥٧هـ-١٩٣٩م.

(٥) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، لـ تقي الدين السبكي، (ص١٣٨)، ت/ محمد زاهد الكوثريّ، المكتبة الأزهرية للتراث–القاهرة، بدون ت.

ليس بصوت ولا بحرف [١].

رأي الخطيب الشّربينيّ:

أثبت الخطيب الشربيني أزلية كلام الله ﷻ، فقرر مذهب أهل السنّة والجماعة في صفة الكلام، وهو أنّ كلام الله ﷻ صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات، وأنّ موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية، ورأى أنه كما لا يبعد رؤية ذاته مع أنّ ذاته ليست جسماً ولا عرضاً كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أنّ كلامه لا يكون حرفًا ولا صوتًا [٢].

أما ما ورد من نصوص في الكتاب الكريم والسنّة النبوية المطهرة ممّا يوهم ظاهرها حدوث القرآن فقد حمله الخطيب على الألفاظ والكلمات، والحروف والأصوات، وهذه أمور لا نزاع في حداثتها[٣].

ومن هنا يمكن القول بأنّ المعتزلة ومن لفّ لفّهم قد ذهبوا إلى أن كلام الله حادث غير قائم بذاته ﷻ، وقد ترتبوا على ذلك القول بخلق القرآن وحدوثه، بينما قرر الأشاعرة والحنابلة أنّ كلام الله ﷻ قديم قائم بذاته ﷻ، وأنّ القرآن قديم غير مخلوق، والفارق بينهما أنّ كلام الله ﷻ عند الأشاعرة كلام نفسيّ، وعند الحنابلة كلام لفظيّ.

فالأشاعرة ومعهم الخطيب الشّربينيّ قد فرقوا بين الكلام اللفظي وبين الكلام النفسيّ، فالكلام عندهم يطلق بالاشتراك على:

ـ الكلام النفسيّ القديم الذي هو وصف قائم بذاته ﷻ، قديم غير مخلوق، ليس بحرف ولا بصوت...

ـ والكلام اللفظيّ الحادث الذي ترجع إليه الخواص التي هي من صفات الحروف وعوارض الألفاظ.

---

(١) السراج المنير (٢/ ٥٨٢)، ويراجع: قواعد العقائد، للغزالي، (١٨٢-١٨٣)، ت/ موسى محمد علي، عالم الكتب-لبنان، ط/ (٢)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، التّفسير الكبير (١/ ٣٦)، شرح المقاصد (٢/ ٩٩)، تحفة المريد (١٢٩ وما بعدها).

(٢) السراج المنير (١/ ٥١٢) (٣/ ٤) (٣/ ٩٧).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٦٨) (١/ ٥٤٢)، وينظر: تحفة المريد (ص ١٦٢).

فمحل النزاع إذن عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه.

وبعبارة أخرى: فإنّ الأشاعرة ومعهم الخطيب يوافقون على ما أثبته المعتزلة كلامًا، أمّا المعتزلة فلا يوافقون ما أثبته الأشاعرة كلامًا.

والرَّاجح في ذلك هو ما ذهب إليه الأشاعرة من القول بأنّ كلام الله قديم غير مخلوق؛ لأنَّه جمع بين الرأيين، ولكونه وسطًا بين غلو الحنابلة وتقصير المعتزلة، ولتنزهه ﷻ عن صفات النقص كقيام الحوادث بذاته ﷻ من الحرف والصوت ونحو ذلك.

المبحث الثالث

رؤية الله 

رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة بالأبصار من المسائل العقديّة التي كثُر الجدال والنّزاع حولها بين المتكلمين، فأجازها أهل السنّة، ومنعها المعتزلة ومن تبعهم، وكذلك اختلف أهل السنّة فيما بينهم في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا، وقد أخذ كلّ فريق يؤيد رأيه ووجهة نظره بتفسير النصوص القرآنية والنبوية بما يتوافق مع مذهبه من إثبات الرُّؤية أو نفيها.

وسوف يدور الحديث أولاً عن رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة.

فقد حصر الخطيب الشّربينيّ المذاهب في مذهبين:

المذهب الأول: قال بجواز رؤية الله في الآخرة شرعًا وعقلًا؛ وذلك للأحاديث الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكييف ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ـ، فرأى أنه لا تلازم بين الرؤية والتشبيه، فأثبت رؤية بلا كيفية ولا جهة ولا مقابلة، وهو مذهب الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم [(١)].

وقد استدلوا على ذلك بما رُوي عن النبيّ عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهرت غاية الشهرة، فمن تلك الأحاديث:

ما روي عن جرير بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال ﷺ: "إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته" [(٢)].

وقال ﷺ: "ينكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئًا أحبّ إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم" [(٣)(٤)].

---

(١) السراج المنير (٤/ ٢٠٢)، ينظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري، (ص ٥١-٥٢)، ت. د/ فوقية حسين محمود، دار الأنصار–القاهرة، ط/ (١)، ١٣٩٧هـ، قواعد العقائد (ص ١٦٩)، شرح العقائد النسفية (ص ٥١)، شرح الخريدة البهية، (٢/ ٣٦ وما بعدها).

(٢) صحيح البخاري، ك/ التوحيد، ب/ قوله: {وجوه يومئذ ناضرة...}، (٩/ ١٢٧)، رقم (٧٤٣٦)، صحيح مسلم، ك/ الإيمان، ب/ إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، (١/ ١٦٣)، رقم (١٨٢).

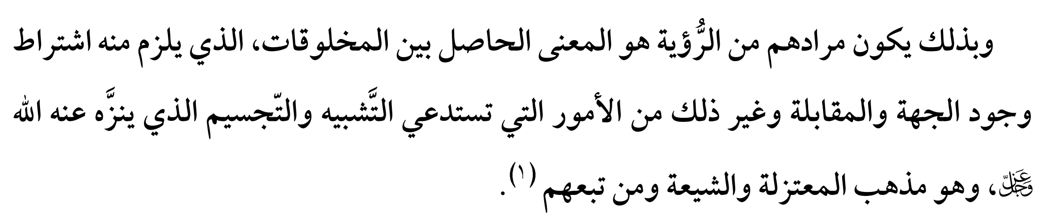
(٣) سنن النسائي، قوله ﷻ: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة". يونس: ٢٦ ، (٧٧١٨)، (٧/ ١٦٦).

(٤) السراج المنير (٤/ ٤٤٣).



وتكون الرؤية كما مثلت في الأحاديث كما يرى القمر ليلة البدر أي: كل من يريد رؤيته من بيته يراه مجليًا له، هذا وجه الشبه، لا أنه في جهة، ولا في حالة لها شبيه، تعالى الله الكريم عن التشبيه.

المذهب الثاني: قال بنفي الرؤية شرعًا وعقلًا، وأوّل النّصوص السمعيّة الدّالة على إثباتها في الآخرة؛ وذلك لأنَّهم اشترطوا عقلًا لتحقق الرؤية بنية مخصوصة على مثال العين، وما يترتب عليها من انبعاث الأشعة واتصالها بالمرئي، وما يترتب على اتصال الأشعة من مقابلة المرئي للرائي.



وبذلك يكون مرادهم من الرُّؤية هو المعنى الحاصل بين المخلوقات، الذي يلزم منه اشتراط وجود الجهة والمقابلة وغير ذلك من الأمور التي تستدعي التَّشبيه والتّجسيم الذي ينزَّه عنه الله ﷻ، وهو مذهب المعتزلة والشيعة ومن تبعهم [(١)].

هذا وقد اقتصر الخطيب الشّربينيّ على ذكر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تمسك بها أصحاب كل مذهب.

والعجيب في هذه المسألة أن النص الذي استدل به كل من المذهبين واحد، لكن اختلف فهم كل منهما له، ومن هذا المنطلق فإن الخطيب سيذكر النص أولاً، ثم يبين فهم كل من المعتزلة وأهل السنّة له.

وفيما يلي عرض لبعض هذه النصوص:

أولاً: قوله ﷻ: ﴿لَا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ الأنعام: ١٠٣

١-**فهم المعتزلة ومن تبعهم:** تمسك المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية، وقالوا: إنّ الله ﷻ لا يراه أحد من خلقه، وإن رؤيته مستحيلة عقلاً؛ لأنّ الله ﷻ أخبر أنّ الأبصار لا تدركه، وإدراك البصر عبارة عن الرؤية؛ إذ لا فرق بين قولك: أدركته ببصري، ورأيته ببصري،

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٤١)، (٤/ ٢٠٢)، شرح الأصول الخمسة (ص ٢٣٢ وما بعدها).

فثبت بذلك ألا تدركه الأبصار، بمعنى: لا تراه الأبصار، وهذا يفيد العموم [1].

٢-**فهم أهل السنّة:** فهم أهل السنّة من قوله ﷻ: **{لا تدركه الأبصار}** بألا تدركه بالإحاطة والجهة، فلا يكون ذلك مانعـًا للرؤية على هذا الوجه.

وأمّا قول المتمسكين بظاهر الآية وإنّ الإدراك بمعنى الرؤية فممنوع؛ لأنّ الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به، والرؤية المعاينة، وقد تكون المعاينة بلا إدراك، قال الله ﷻ في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ الشعراء: ٦١-٦٢، وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم، فنفى موسى عليه السلام الإدراك مع ثبوت الرؤية، فالله ﷻ يصح أن يرى من غير إدراك ولا إحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ طه: ١١٠، فنفي الإحاطة مع ثبوت العلم... [2].

ثانيًا: قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣

١-**فهم المعتزلة:** أنكر الرؤية المعتزلة، واحتجوا بهذه الآية، ففرقوا بين النظر والرؤية، وقالوا: النظر المقرون بإلى ليس اسمـًا للرؤية، بل لمقدّمة الرؤية، وهي تقليب الحدقة نحو المرئيّ؛ التماسـًا لرؤيته، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة، وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع، ويدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ الأعراف: ١٩٨، فأثبت النظر حال عدم الرؤية، فتكون الرؤية غاية النظر، وأنّ النظر يحصل والرؤية غير حاصلة.

وأضافوا أنه يمكن أن يكون معنى قوله ﷻ: **{ناظرة}** منتظرة، كقولك: أنا أنظر إليك في حاجتي، فيكون المعنى: أن المؤمنين ينتظرون نعم الله وجزيل ثوابه... [3].

٢-**فهم أهل السنّة:** ذكر الخطيب الشّربينيّ أن أهل السنّة قد استدلوا بهذه الآية على أن الله ﷻ مرئي، فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدّي بإلى، وذلك النظر جهرة من غير

---

(١) السراج المنير (١/ ٤٤١)، وينظر: شرح الأصول الخمسة (ص٢٣٢ وما بعدها)، تفسير الزمخشري (٢/ ٥٢)، دار الكتاب العربي-بيروت، ط/ (٣)، ١٤٠٧هـ.

(٢) السراج المنير (١/ ٤٤٢) (٤/ ٤٤٣)

(٣) السراج المنير (٤/ ٤٤٣)، وينظر: شرح الأصول الخمسة (ص٢٤٢ وما بعدها).



اكتتام ولا تضامّ ولا زحام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر المفسرين، وكان ابن عمر يقول: أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم تلا هذه الآية.

ثم ناقش الخطيب الشّربينيّ المعتزلة في استدلالهم بقوله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ على نفي الرؤية بعدة أجوبة:

أحدهما: أن نقول: النظر هو الرؤية؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١٤٣، فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان، ولأنه أخر النظر عن الإراءة، فلا يكون تقليب الحدقة.

الجواب الثاني: سلمنا ما ذكرتموه من أنّ النظر تقليب الحدقة تعذر حمله على الحقيقة فيجب حمله على الرؤية إطلاقًا لاسم السبب على المسبب، وهو أولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة؛ لأن تقليب الحدقة كالسبب للرؤية، ولا تعلق بينه وبين الانتظار.

الثالث: قولهم بحمل النظر على الانتظار يجاب عنه أيضًا بأن الذي هو بمعنى الانتظار في القرآن غير مقرون بإلى، كقوله ﷻ: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ الحديد: ١٣ أي: انتظرونا.

فالنظر المقرون بإلى ليس إلا بمعنى الرؤية؛ لأنّ وروده بمعنى الرؤية ظاهر، فلا يكون بمعنى الانتظار دفعًا للاشتراك [(١)].

ويخلص الخطيب الشّربينيّ من ذلك إلى أن الله ﷻ قد أثبت لأهل الجنة في هذه الآية أمرين:

أحدهما: النضارة وهي حسن الوجوه، وذلك من نعيم الجنة.

والثاني: النظر إلى الله ﷻ [(٢)].

ثالثًا: قوله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾ الأعراف: ١٤٣

١-فهم المعتزلة: قالوا: هذه الآية دلَّت على نفي الرُّؤية صراحة من عدة وجوه، منها:

---

(١) السراج المنير (٤/ ٤٤٣-٤٤٤)، وينظر: تفسير الرازي (٣٠/ ٢٠٢)، شرح المقاصد (٢/ ١١٦).
(٢) السراج المنير (٢/ ١٦).

-**الإجابة بالنفي المؤبّد:** لمّا سأل موسى عليه السلام رؤية الله تعالى أجيب بـ (لن تراني)، والمتبادر من هذه الجملة هو النفي الأبديّ الدّال على عدم تحققها أبدًا، واستدلوا على ذلك بتتبع موارد استعمال كلمة (لن) في القرآن الكريم، وأنّها قد جاءت دالة على التأبيد، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾البقرة: ١٢٠، **وقوله** تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾التوبة: ٨٣ **إلى غير ذلك من الآيات الدالة** على أنّ (لن) تفيد التأبيد ـ على زعمهم ـ.

-**تنزيهه تعالى بعد الإفاقة عن الرؤية:** تذكر الآية أنّ موسى عليه السلام لمّا أفاق فأول ما تكلم به هو تسبيحه تعالى وتنزيهه، فقال: (سبحانك تبت إليك)، وذلك لأنّ الرؤية لا تنفك عن الجهة والجسميّة وغيرهما من النقائص، فنزه الله تعالى عنها.

٢-**فهم أهل السنّة:** احتجوا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة من وجوه:

-أنه لا يسأل نبيّ ما لا يجوز أو يمتنع على الله تعالى؛ لأنّ طلب المستحيل من الأنبياء محال خصوصًا ما يقتضي الجهل بالله تعالى.

-أنه تعالى قد علق الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى: **{فإن استقرّ مكانه فسوف تراني}**، واستقرار الجبل عند التجلي ممكن بأن يجعل الله تعالى له قوّة على ذلك، والمعلق على الممكن ممكن.

-أن الله تعالى قال: **{لن تراني}**، ولو كانت الرؤية ممتنعة لقال: (لن أرى)، أو (لن أريك)، أو (لن تنظر إليّ)؛ تنبيهًا على أنه قاصر عن رؤيته؛ لتوقفها على بعد في الرائي لم يوجد فيه بعد...

أما ما زعمه المعتزلة من أن (لن) لتأبيد النفي فتكون الرؤية ممتنعة خطأ؛ لأنها لو كانت للتأبيد للزم التناقض بذكر اليوم في قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم: ٢٦، وللزم التكرار بذكر أبداً في قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾البقرة: ٩٥ ولن تجتمع مع ما هو لانتهاء الغاية نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾يوسف: ٨٠

وإن اعترض معترض وقال: الرؤية عين النظر فكيف قيل: أرني أنظر إليك؟ فإن الخطيب الشّربينيّ

يرد عليه بأنّ معنى: (أرني نفسك) اجعلني متمكنًا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك، وفي هذا دليل على أنّ رؤيته ﷻ جائزة [(١)].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

رابعًا: قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ المطففين: ١٥

١-**فهم المعتزلة:** استند المعتزلة على هذه الآية في نفي الروية، وقالوا: جعله ﷻ تمثيلاً؛ للاستخفاف بهم وإهانتهم؛ لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء والمكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأذناب المهانون عندهم [(٢)].

٢-**فهم أهل السنّة:** قالوا: في قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ دلالة على أنّ أولياء الله يرون الله ﷻ، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وقد سئل الإمام مالك عن هذه الآية فقال: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه"[(٣)]، وقال أيضًا: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله ﷻ الكفار بالحجاب [(٤)].

هذا بالنسبة لرؤية الله ﷻ في الآخرة.

أمّا بالنسبة لرؤية الله في الدُّنيا فالذي عليه أهل السنّة أن الله لم يره أحد بعينيه في الدنيا، وقد ذكر الإمام أحمد وغيره اتفاق السلف على هذا النفي، وأنهم لم يتنازعوا إلا في النبي خاصة[(٥)].

فقد ذكر الخطيب الشّربينيّ اختلاف العلماء فيها على مذهبين:

المذهب الأول: أثبت وقوع رؤية النَّبي ﷺ لربه ﷻ بعيني رأسه ليلة الإسراء.

---

(١) السراج المنير (١/ ٥١٢-٥١٣) (١/ ٤٤٢).

(٢) السراج المنير (٤/ ٥٠٢)، وينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٧٢٣).

(٣) يراجع: تّفسير الرازي، (١٣/ ١٠٨)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٩/ ٢٦١)، ت/ أحمد البردوني وغيره، دار الكتب المصرية –القاهرة، ط/ (٢)، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، تحفة المريد (١٩١-١٩٢).

(٤) السراج المنير (١/ ٤٤١-٤٤٢)، (٤/ ٥٠٣).

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشّيعة القدرية، لابن تيمية، (٣/ ٣٥٠)، ت. د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط/ (١)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

وقد استدلوا على ذلك بحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وهو "أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم عليه السلام، والكلام لموسى عليه السلام، والرُّؤية لمحمد ﷺ" [١]، وممن ذهب إلى هذا الإمام أبو الحسن الأشعري، والقاضي الباقلاني، والقاضي عياض والنووي وغيرهم[٢].

المذهب الثاني: أنكر وقوع مثل هذه الرُّؤية للنبي ﷺ، وفي مقدمتهم السّيدة عائشة، وسيدنا أبو هريرة ـ رضي الله عنهما ـ[٣].

وقد استدلوا على ذلك بما رُوي عن السيدة عائشة أنّها سُئلت: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قَفّ شعري ممّا قلت، أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أنَّ محمّدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثمَّ قرأت: ثم قرأت ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣، ولكنَّه "رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين"[٤]، وبما رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنَّه قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربّك؟ قال: "نور أنّى أراه"[٥].

وممن ذهب إلى نفي رؤية الله تعالى في الدنيا الإمام مالك وجماعة من المحدثين والمتكلمين[٦].

رأي الخطيب الشّربينيّ:

لقد أثبت الخطيب رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة متابعة لجمهور أهل السنّة، فقال: "إن الله عز وجل يُرى رؤية منزهة عن الكيفية، وذلك للمؤمنين في الآخرة...، للأحاديث الدالة على ذلك من

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى، كتاب التّفسير، سورة النجم، قوله تعالى: {ما كذب الفؤاد ما رأى}، (١٠/ ٢٧٦)، رقم (١١٤٧٥)، قال الحاكم في المستدرك: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. (٢/ ٣٠٩).

(٢) ينظر: الإنصاف (ص٦٨)، الشفا (١/ ٣٨٨)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (٣/ ١٥)، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط/ (٢)، ١٣٩٢هـ.

(٣) يراجع: صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٥)، تحفة المريد (١٩١ وما بعدها)، فتح الباري (١٣/ ٩٦)، شرح الطحاوية (١/ ١١٦).

(٤) صحيح البخاري، ك/ تفسير القرآن، ب/ سورة والنجم، (٦/ ١٤٠)، رقم (٤٨٥٥)، ت/ محمد زهير، دار طوق النجاة، ط/ (١)، ١٤٢٢هـ.

(٥) صحيح مسلم، ك/ الإيمان، ب/ في قوله: «نور أنى أراه»، (١/ ١٦١)، رقم (١٧٨).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٧/ ٥٦)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (١/ ٣٨٠، ٣٨٤)، دار الفيحاء – عمان، ط/ (٢)، ١٤٠٧هـ.

غير تشبيه ولا تكييف، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً"[١].

وكذلك رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا فقد أثبتها أيضًا، حيث قال: الصحيح ثبوت الرؤية، وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمّة، وهو الذي يرجع إليه في المعضلات، ولا يقدح في ذلك حديث عائشة؛ لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله ﷺ أنه قال: لم أر، وإنما اعتمدت على الاستنباط، وجوابه أنّ الإدراك هو الإحاطة، والله ﷻ لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة.

وأمّا قوله ﷺ "نور أنّى أراه" فقد أجاب عنه بما قاله الماوردي: "الضمير في (أراه) عائد إلى الله ﷻ، ومعناه: إنه خالق النور المانع من رؤيته، أي: رؤية إحاطة كما مرّ؛ إذ من المستحيل أن تكون ذات الله نوراً؛ إذ النور من جملة الأجسام، والله ﷻ منزه عن ذلك" [٢].

هذا والغرض من إثارة هذا الخلاف يتعلّق بإثبات جواز الرُّؤية، وهذا القدر من الخلاف يثبت جوازها؛ إذ لو كانت مستحيلة لما اختلف السَّلف ﵃ في وقوعها للنبي ﷺ، فقول فريق منهم بالوقوع يشهد بجوازها [٣].

وفي نهاية المطاف يمكن القول بأنّ ما يرجح مذهب أهل السنّة ومنهم الخطيب الشّربينيّ في هذه المسألة هو ما قدموه من أدلة على وقوع الرؤية له ﷻ في الآخرة متمثلة في نصوص الكتاب الكريم وأحاديث السنّة النبوية.

وقد ظهر لنا من بيان موقف المعتزلة من هذه النصوص مدى إصرارهم على تأويلها وصرفها عن ظاهرها بما يتفق وقواعدهم العقلية، وأنهم بمخالفتهم لأهل السنّة قد ركنوا إلى عقولهم ومالوا عن الحق؛ إمّا لتمسكهم بالعادات، وإمّا لميلهم إلى القواعد الفلسفيّة في مثل هذه القضية العقائديّة الغيبيّة.

(١) يراجع: السراج المنير (١/ ٦١) (٤/ ٢٠٢).
(٢) المرجع السابق (٤/ ١٢٤) (٤/ ١٢٥)
(٣) شرح الخريدة البهية (٢/ ٤٩).

فالقلوب الصّافية مجبولة على حب معرفة الله ﷻ على أكمل الوجوه، وأكمل طرق المعرفة هو الرُّؤية، فوجب أن تكون رؤية الله ﷻ مطلوبة لكلّ أحد، وإذا ثبت هذا وجب القطع بحصولها؛ لقوله ﷻ: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ فصلت: ٣١، خصوصًا إذا علمنا أنّ الآخرة فيها من الأمور العجيبة ما لا نستطيع أن نتخيله، ولا يمكن أن نقيسه على المحسوس الموجود، أو نخضعه إلى ما نعرف من قوانين الكون [١].



(١) التّفسير الكبير (١٣/ ١٠٨)، ويراجع: شرح الخريدة (٢/ ٤٥)، توضيح المراد من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، أ د/ حبيب الله حسن أحمد، أ د/ إسماعيل الكيلاني، (١/ ١٢٣)، مطبعة الحسين الإسلامية- القاهرة، ط/ (١)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.



المبحث الرابع
أفعال العباد

غنيٌ عن البيان أنَّ مسألة أفعال العباد من المسائل الشائكة التي واجهت الفكر البشريّ، والتي كانت ولا تزال موضع خلاف ونزاع بين جميع الفرق الإسلاميّة، ومثار اهتمام الباحثين والمفكرين من أرباب الدِّيانات السَّماويّة قديمًا وحديثًا على اختلاف مذاهبهم وآرائهم فيها، فمنهم من قال بأنَّ الإنسان خالقٌ لأفعاله، ومنهم من قال بالجبر، ومنهم من قال بالتَّوسط.

وسبب الخلاف بين الفرق في ذلك يرجع إلى أنَّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة قد وردت فيهما نصوص كثيرة، تدلُّ على أنَّ الله ﷻ خالق كلّ شيء بما فيه العبد وما عمل، وفيهما نصوص أخرى تقرر أنَّ العبد مختار في أفعاله مسئول عنها، كما وجدت نصوص تجمع بين الأمرين، فاتجه كلّ فريق إلى القرآن والسنّة يطلب منهما تأييدًا وتدعيمًا لمذهبه، هذا بالإضافة إلى تباين وتغاير الأدلة العقليّة [(١)].

وقبل ذكر آراء الفرق في قضيّة أفعال العباد لا بدّ أولاً من بيان المراد من أفعال العباد، وذلك على النَّحو التَّالي:

أفعال العباد: هي كلّ ما يصدر منهم من حركات وسكنات، وهذه الأفعال منها ما يكون اختياريًّا، وهي المقدورة بالقدرة الحادثة، ولا يحس فيها العبد إلجاءً إلى الفعل، كالأكل والشّرب ونحو ذلك، ومنها ما يكون اضطراريًّا، وهي التي ليست مقدورة بالقدرة الحادثة، ويحس فيها العبد إلجاءً إلى الفعل، كحركة الرَّعشة والرّعدة ونحو ذلك[(٢)]، فالأفعال إذن إمّا اختياريّة أو اضطراريّة.

تحرير محل النزاع: اتفقت كلمة العلماء على أنَّ الأفعال الاضطراريّة واقعة بقدرة الله ﷻ، ولا تأثير لقدرة العبد فيها، بينما وقع الخلاف بينهم في الأفعال الاختياريّة، هل هي واقعة بقدرة الله ﷻ

---

(١) ينظر: شرح المقاصد (٢/ ١٤١-١٤٢)، مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، (ص٢٣٣)، ت.د/ محمود قاسم، ط/ (٢)، ١٩٦٤م.

(٢) ينظر: شرح الخريدة البهية (١/ ٨٣).

فقط، أو بقدرة العبد فقط، أو بمجموع القدرتين معًا على عدة مذاهب:

١ ـ **الجبريّة:** ذهبوا إلى أنَّ الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنّما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنّما يخلق الله ﷻ الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازًا، كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وقرر أنّ الثواب العقاب جبر، كما أنّ الأفعال كلّها جبر، قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا(١).

٢ ـ **المعتزلة:** اتفقت كلمتهم على أنَّ العبد قادرٌ خالقٌ لأفعاله، خيرها وشرّها، واقعة بقدرة أودعها الله ﷻ فيه؛ ليتم التكليف، وقرروا أنّ من قال: إنّ الله خالقها ومحدثها فقد عظُم خطؤه ـ على حد تعبير القاضي عبد الجبّار ـ(٢).

٣ ـ **جمهور الأشاعرة:** أمّا جمهور الأشاعرة فقد سلكوا مسلكًا وسطًا، سلموا فيه من خطأ الفريقين، فقرروا أنّ القول بالجبر محالٌ باطلٌ، والقول بالاختراع اقتحامٌ هائلٌ، فذهبوا إلى أنَّ أفعال العباد الاختياريّة لله ﷻ خلقًا، وللعباد كسبًا، أي: أنَّ الفاعل الحقيقيّ هو الله، وأنَّ العبد مكتسب لها، فنسبة الأعمال إلينا ومخاطبتنا بها وبتحصيلها من حيث إنّه كسب أو اكتساب، لا من حيث إنّه إيجاد واختراع(٣).

رأي الخطيب الشّربينيّ:

رأى الخطيب الشّربينيّ رأي جمهور الأشاعرة، وهو أن جميع أفعال العباد لله ﷻ خلقًا، وللعباد كسبًا، وذلك لما رآه من آيات عديدة في القرآن الكريم، تنسب إلى الله ﷻ الخلق، وتنفيه عن غير الله ﷻ، وآيات أخرى تنسب الكسب إلى العبد، فعلم من ذلك أنّ الله ﷻ فاعل على سبيل

(١) ينظر: الملل والنحل، (١/ ٨٦). الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٥٤)، شرح الخريدة (١/ ٨٥-٨٦).
(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٣٣٢ وما بعدها)، الاقتصاد في الاعتقاد، (ص ٥٤).
(٣) يراجع: الملل والنحل (١/ ٩٥-٩٦)، التمهيد، الباقلاني (١/ ٣١٧ وما بعدها)، الاقتصاد في الاعتقاد، (ص ٥٥)، غاية المرام في علم الكلام، الآمدي (ص٢٠٦)، ت.د/ حسن محمود، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية–القاهرة، شرح الخريدة (١/ ٨٣).



الخلق، وأنّ العبد فاعل على سبيل الكسب، وقد بدا ذلك كله واضحًا من خلال تفسيره لبعض الآيات القرآنية التي تدل دلالة واضحة وصريحة على ذلك، **ومن ذلك:**

-**ما ذكره الخطيب الشّربينيّ في تفسيره عند الكلام على قوله ﷻ:** ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الأعراف: ١٧٩ أن هذه الآية دليل وحجة واضحة لمذهب أهل السنّة في أن الله ﷻ خالق أفعال العباد جميعها خيرها وشرّها، **وعلل ذلك** بأن الله ﷻ بيّن باللفظ الصريح أنه خلق كثيراً من الجنّ والإنس للنار، ولا مزيد على بيان الله ﷻ؛ ولأن العاقل لا يختار لنفسه دخول النار، فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم أنّ له من يضطرّه إلى ذلك العمل الموجب لدخول النار، وهو الله ﷻ.

أما المعتزلة فزعموا أن اللام في قوله: {لجهنم} لام العاقبة، واستدلوا لذلك بآيات وأشعار، فمن الآيات قوله ﷻ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨ ، وهم ما التقطوه لهذا الغرض.

ومن الأشعار قول بعضهم:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

ولكن الخطيب الشّربينيّ ردّ هذا التأويل وأبطله، فذكر أنّ المصير إلى التأويل إنما يحسن إذا ثبت الدليل العقلي على امتناع حمل اللفظ على ظاهره، فإذا لم يثبت كان المصير إلى التأويل في هذا المقام عبثاً.

واستخلص الشّربينيّ من هذا أن المذهب الحق هو مذهب أهل السنّة [(١)].

-**وعند تفسيره لقوله ﷻ:** ﴿صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١ - ٢ ذكر أن هذه الآية تفيد حصر ما في السموات وما في الأرض له لا لغيره، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لا مالك إلا الله، ولا حاكم إلا الله، وأنه ﷻ خالق لأعمال العباد؛ لأنها حاصلة في السموات والأرض.

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٥٣٨) (٤/ ٥١٥).

وبالتالي يجب القول بأنّ أفعال العباد مملوكة له، والملك عبارة عن القدرة، فوجب كونها مقدورة لله ﷻ، وإذا كانت مقدورة له ﷻ وجب وقوعها بقدرته، وإلا لكان العبد قد منع الله ﷻ من إيقاع مقدوره، وذلك محال [(١)].

-**كما ذكر الخطيب الشّربينيّ احتجاج أهل السنّة بقوله ﷻ:** ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ النحل: ٢٠ على أن فعل العبد مخلوق لله ﷻ؛ **وعلل لذلك** بأنه ﷻ عاب هؤلاء الكفار من حيث إنهم قد عبدوا ما لا يخلق شيئًا، وذلك يدل على أن مَن خلق وهو الله ﷻ يستحق أن يعبد [(٢)].

-**وفي نفس السياق قرر الخطيب عند تفسيره لقوله ﷻ:** ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ ﴾ النحل: ١٧ أنّ العبد غير خالق لأفعال نفسه؛ لأنه ﷻ ميز نفسه عن الأشياء التي يعبدونها بصفة الخالقية؛ لأنّ الغرض من قوله ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ ﴾ بيان تميزه عن هذه الأشياء بصفة الخالقية، وأنه إنما استحق الإلهية والعبودية لكونه ﷻ خالقًا، وهذا يقتضي أنّ العبد لو كان خالقًا لشيء لوجب كونه إلهًا معبوداً، ولما كان ذلك باطلاً علمنا أنّ العبد لا يقدر على الخلق والإيجاد[(٣)].

-**وقال عند تفسيره لقوله ﷻ:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ يونس ٤٤: إنّ فعلهم منسوب إليهم بسبب الكسب [(٤)]، وإن كان قد سبق قضاء الله ﷻ وقدره فيهم، ففي ذلك دليل على أنّ للعبد كسبًا، وأنه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت المجبرة [(٥)].

وقد نقل الخطيب الشّربينيّ عن الملوي مثلًا تقريبيًا يوضح ذلك، حيث مثّل الملوي ذلك بمَن يريد قطع بطيخة فحدّد سكينة وهيأها، وأوجد فيها أسباب القطع وأزال عنها موانعه، ثم وضعها على

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٢/ ١٦٨)، (٣/ ٤١٠-٤١١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٢/ ٦٤٧) (٢/ ١٨٧) (٤/ ٣٦٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢/ ٢٢٣) (٤/ ٣٣٧).

(٤) الكسب ـ كما يشرحه الشيخ الأشعري ـ هو أنّ يقع الفعل من العبد بقوة محدثة، فيكون كسبًا لمن وقع بقدرته"، (ينظر: اللمع، (ص ٤٠)، ويراجع: مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٢١)، الإبانة (ص ٢٣).

(٥) ينظر: السراج المنير (٢/ ٢٢)، (٣/ ٢٠٨).



البطيخة، فهي لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك، ولو وضع عليها ما لا يصلح للقطع كحطبة مثلاً لم تقطع ولو تحامل، فالعبد كالسكين، خلقه الله ﷻ وهيأه بما أعطاه من القدرة للفعل، فمن قال: (أنا أخلق فعلي مستقلاً به) فهو كمن قال: السكين تقطع بمجرّد وضعها من غير تحامل، ومن قال: (الفاعل هو الله من غير نظر إلى العبد أصلاً) كان كمن قال: هو يقطع البطيخة بتحامل يده أو قصبة ملساء من غير سكين، والذي يقول: (إنه باشر بقدرته المهيأة لفعل يخلقه الله ﷻ لها في ذلك الفعل) كمن قال: إنّ السكين قطعت بالتحامل عليها، بهذا أجرى الله ﷻ عادته في الناس، ولو شاء غير ذلك فعل.

ويخلص الخطيب الشّربينيّ من ذلك كله إلى بطلان مذهب القدرية الذين يقولون: إنا نخلق أفعالنا، وبطلان مذهب الجبرية القائلين: لا فعل لنا أصلاً، وأن الحق الذي لا مرية فيه ما ذهب إليه أهل السنّة من أن للعبد مشيئة تسمى: كسبًا، لا تؤثر إلا بمشيئة الله ﷻ [١].

هذا والأسلم في مثل هذه القضايا الإمساك عن الخوض فيها؛ مصداقًا لقول الرسول ﷺ: "إذا ذكر القدر فأمسكوا" [٢]، فيجب أن تؤخذ مأخذ التسليم لله ﷻ، ويكفي فيها أن يشعر الإنسان أنه يفعل ما يريد بإرادته وحريته دون تدخل من أحد.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١/ ١٩١)، (٤/ ٤٦١-٤٦٢).

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، رقم (١٤٢٧)، (٢/ ٩٦) ت/ حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية–القاهرة، ط/ (٢) بدون ت.

المبحث الخامس

النبوات وبعض ما يتعلق بها

مبحث النبوات هو ثاني مباحث علم التوحيد بعد الإلهيات، والبحث فيه من خلال بيان ما يجب لهم، وما يجوز في حقهم، وما يستحيل عليهم، والكلام على المعجزة باعتبارها طريق لإثبات النبوة، والكلام على عصمة الأنبياء عليهم السلام ...، إلى غير ذلك من المسائل، والكلام على النبوات ينحصر فيما يلي:

أولاً: عصمة الأنبياء عليهم السلام:

لعلّ من الخير هنا قبل عرض رأي الخطيب الشّربينيّ أن أذكر أولاً معنى العصمة ومذاهب العلماء فيها؛ حتى تتضح حقيقة الأمر، فأقول:

١-تعريف العصمة:

العصمة في **اللغة**: المنع والحفظ والوقاية، قال ﷻ: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾هود: ٤٣، أي: لا مانع... (١).

أما في **اصطلاح المتكلمين**: فقد عرفها الأشاعرة ـ على ما يقتضيه أصلهم من استناد الأشياء كلّها إلى الفاعل المختار ابتداء، وانفراده بالخلق والإيجاد ـ بأنّها: "ألّا يخلق الله فيهم ـ أي في الأنبياء ـ ذَنْبًا مع بقاء قدرته واختياره" (٢).

وعرفها التفتازانيّ بأنّها: "مَلَكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها" (٣).

وعند المعتزلة والإمامية ـ انطلاقًا من نظرية الحسن والقبح العقليين وقاعدة اللطف ـ تعني "لطف يفعله الله ﷻ بالمكلَّف، بحيث تمنع وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما" (٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (عصم).

(٢) يراجع: شرح المواقف (٣/ ٤٤٨)، شرح إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، لـ عبد السلام اللقاني، (٢/ ١٩٩)، بشرح: أ. د/ فتحي أحمد عبد الرازق، مطبعة الحصري، ط/ (٣)، ٢٠١٢م.

(٣) شرح المقاصد (٢/ ٢٧٩).

(٤) ينظر: شرح المقاصد (٢/ ١٦٠)، شرح الأصول الخمسة (٥٧٣ وما بعدها)، رسالة قواعد العقائد، للطوسي، (ص٧٢)، ت/ علي حسن خازم، دار الغربة-لبنان، ط/ (١)، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.



وإذا كان الأمر كذلك فالأنبياء عليهم السلام معصومون محفوظون باطنًا وظاهرًا: باطنًا من الحسد والحقد والكبر والكفر وغير ذلك من منهيات الباطن، وظاهرًا من الكذب والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من منهيات الظاهر (١).

٢-مذاهب العلماء في العصمة: أجمعت الأمة على أنّه لا يجوز على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ التحريف والخيانة والكذب في جميع الأحكام والشرائع، لا عمدًا ولا سهوًا؛ لأن دلالة المعجزة هي ألا يصدر من النبي ما يخالف مقتضاها، ومقتضاها أنه صادق في جميع ما يبلغه عن الله ﷻ.



وذهبت المعتزلة إلى عدم جواز تعمد الكبائر، بينما جوزوا تعمد الصغائر، بشرط ألّا تكون منفرة، وذهب النظام إلى أنه لا يجوز عليهم الكبيرة والصغيرة لا عمدًا ولا سهوًا ولا تأويلًا، وإن جاز عليهم السهو والنسيان ويعاتبون على ذلك؛ لأن واجبهم المبالغة في التيقظ، بينما ذهب الجبائي إلى جواز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل.

وذهبت الشيعة إلى أنه لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة، لا عمدًا ولا سهوًا ولا خطأ في التأويل، بل هم مبرءون عنها قبل الوحي، فكيف بعد الوحي؟!

وذهب الأشاعرة إلى وجوب عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عن الكبائر بعد البعثة مطلقًا، وكذلك عصمتهم عن الصغائر المنفرة، وغير المنفرة عمدًا لا سهوًا، ولكن لا يصرون ولا يقرون، بل ينبهون فيتنبهون (٢).

وبعد تعريف العصمة وذكر الآراء حولها أبيّن رأي الخطيب الشّربينيّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وموقفه ممن طعن فيها:

(١) ينظر: شرح الخريدة البهية للشيخ الدردير مع حاشية الصاوي (ص ١٠٤)، مطبعة الاستقامة، مصر، شرح إتحاف المريد (٢/ ١٨٧).

(٢) يراجع: نهاية الأقدام (ص ٤٥٩)، الأربعين في أصول الدين، الرازي، (٢/ ١١٥-١١٦)، ت. د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط/ (١)، ١٤٠٦هـ، الملل والنحل (١/ ١١٧)، عصمة الأنبياء للرازي، (ص ٧)، مطبعة الشهيد-قم، منشورات الكتبي النجفي، ١٤٠٦هـ، أبكار الأفكار (٤/ ١٤٣ وما بعدها)، شرح المواقف (٣/ ٤٢٥ وما بعدها)، شرح المقاصد (٢/ ١٩٣)، في علم الكلام د/ أحمد محمد صبحي، (ص٧٦٦).

١-رأي الخطيب الشّربينيّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام:

أما الخطيب الشّربينيّ فقد رأى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من كل نقيصة، ومبرؤون من كل ريبة، فهم معصومون قبل النبوة من الكفر والكبائر، وبعدها من الكبائر وكذا من الصغائر ولو سهواً عند المحققين، وقرر أن عصمتهم عليهم السلام إنما هي بتوفيق الله ﷻ وحفظه إياهم[1].

وقد أقام الخطيب الشّربينيّ الأدلة الآتية الموجبة للعصمة لهم:

-فاستدل بقول الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ ص: ٤٧، فذكر أن ذلك يتنافى مع صدور الذنب عنهم، فقال: أي: اصطفاء لا يقدح فيه قادح، فصاروا في غاية الرسوخ في هذا الوصف...، فقد حكم الله ﷻ عليهم بكونهم أخياراً على الإطلاق، وهذا يفهم حصول الخيرية في جميع الأفعال والصفات بدليل صحة الاستثناء منه [2].

-واحتج أيضًا بقوله ﷻ: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾النمل: ١٠-١١ من وجهين:

أحدهما: أنه استثناء منقطع؛ لأنّ المرسلين معصومون من المعاصي، وهذا هو الصحيح، والمعنى: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف إلا من تاب...

والثاني: أنه استثناء متصل، وللمفسرين فيه عبارات:

قيل: إنّ موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي.

وقيل: إنّ ذلك محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل... [3].

٢-موقف الخطيب الشّربينيّ من الطاعنين في عصمة الأنبياء عليهم السلام:

تمسك الطاعنون في عصمة الأنبياء بنصوص من القرآن الكريم توهموا أنها تؤيد رأيهم في عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام، منها:

-احتجاج الطاعنين بقصة آدم عليه والسلام:

---

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٩١) (١/ ٣٤٢) (٢/ ١٨٤) (٤/ ٤١٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٤٢٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٤٤-٤٥).



احتج الطاعنون بعدم عصمة الأنبياء عليهم السلام بقصة سيدنا آدم بعدة وجوه:

الأوّل: أنّ آدم عليه السلام كان نبيًا، وارتكب المنهي، والمرتكب له عاص.

والثاني: أنه ﷻ جعله بارتكابه هذا المنهي من الظالمين، والظالم ملعون؛ لقوله ﷻ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ هود: ١٨

والثالث: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله له بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣، والخاسر من يكون ذا كبيرة.

والرابع: أنه لو لم يذنب ما جرى عليه ما جرى.

والخامس: أنه ﷻ لقنه التوبة، وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه.

والسادس: أنه أسند إليه العصيان والغي، وقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ طه: ١٢١

الجواب:

وقد أجاب الخطيب الشّربينيّ عن ذلك بوجوه أيضًا:

فأجاب عن **الأوّل** بأنه عليه السلام فعل هذا قبل النبوة، وأن المدّعي مطالب بالدليل، ولا دليل، وأنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه، فإنه ظنّ أن النهي للتنزيه، أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها، وكان المراد بالإشارة الإشارة إلى النوع لا إلى شجرة معينة، فعوتب عليه السلام على ذلك؛ تعظيمـًا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده.

وأجاب عن **الثاني والثالث** بأنه إنما سمي ظالمـًا وخاسراً؛ لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى.

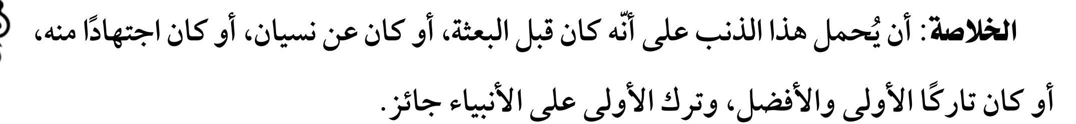
وأجاب عن **الرابع** بأنه إنما أجرى الله ﷻ ما جرى معاتبة على ترك الأولى ووفاء بما قاله ﷻ للملائكة قبل خلق آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ البقرة: ٣٠، ولا يكون خليفة في الأرض إلا بالهبوط إليها.

وأجاب عن **الخامس** بأنه أمر بالتوبة تلافيـًا لما فاته.

وأجاب عن **السادس** بأن المعصية مخالفة الأمر، والأمر قد يكون بالواجب، وقد يكون

بالمندوب، فإنك تقول: أمرته فعصاني، وأمرته بشرب الدواء فعصاني، وإذا كان كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم بكونه للمندوب، وإن كان وصف تارك المندوب بأنه عاص مجازًا.

وزاد الخطيب بأن الوقوع في الخطأ من آدم عليه السلام لم يكن عن قصد، بل فعله ناسيًا؛ لقوله ﷻ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ طه: ١١٥، ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان؛ إذ رفعُ الإثمِ بالنسيان من خصائص هذه الأمّة كما ثبت في الأخبار الصحيحة، فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[(١)].



الخلاصة: أن يُحمل هذا الذنب على أنّه كان قبل البعثة، أو كان عن نسيان، أو كان اجتهادًا منه، أو كان تاركًا الأولى والأفضل، وترك الأولى على الأنبياء جائز.

-احتجاج الطاعنين بقصة إبراهيم عليه السلام:

احتج النافون لعصمة الأنبياء بأن إبراهيم عليه السلام قد كذب ثلاث مرات، وهي قوله: إِنِّي سَقِيم، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا، وقوله لسارة: هذه أختي لجبار رام أخذها"[(٢)].

الجواب:

وقد أجاب الخطيب الشّربينيّ بأن هذه معاريض كلام وتخيلات للكفرة، وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار.

بيان ذلك: قوله: (إنّي سقيم) يحتمل أن يكون أراد إنّي سقيم، أي: سَأُسْقَم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرًا، ويحتمل أنّه أراد أنّي سقيم الحجة على الخروج معكم.

وقوله: (بل فعله كبيرهم) قاله تمهيدًا للاستدلال على أنّ الأصنام ليست بآلهة، وقطعًا لقومه في قولهم: إنّها تضر وتنفع.

وقوله: (هذه أختي) أراد أنّها أخته في الدين، أو نظرًا إلى انتسابهما إلى آدم أو إلى سائر

---

(١) المعجم الكبير رقم (١١٢٧٤)، (١١/ ١٣٣). ينظر: السراج المنير (١/ ٥٢-٥٣)، (١/ ٤٦٨-٤٦٩)، (٢/ ٤٨٩).

(٢) صحيح البخاري، ك/ الأنبياء، ب/ واتخذ الله إبراهيم خليلًا، (٤/ ١٤٠)، رقم (٣٣٥٨).



الأجداد، ومن قال ذلك ونوى أخوة الدين لم يضره ذلك [١].

ثم ذكر الخطيب أن: "الأولى في الجواب أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم، وهضم لأنفسهم، ويدل عليه قوله: "أطمع"، ولم يجزم القول بالمغفرة"[٢].

وقد اعتبر الفخر الرازي أن هذا الوجه ضعيف؛ لأنّه إن كان صادقًا في هذا التواضع فقد لزم الإشكال، وإن كان كاذبًا فحينئذ يرجع حاصل الجواب إلى إلحاق المعصية به لأجل تنزيهه عن المعصية، وذكر أن الجواب الصحيح أن يحمل ذلك على ترك الأولى، وقد يسمى ذلك خطأ، وترك الأولى على الأنبياء جائز [٣].

-**استدلال من يرى صدور الذنب من الأنبياء عليهم السلام بقوله ﷻ :** ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ٢٠٠ ؛ قالوا: لولا أنه يجوز من النبي الإقدام على المعصية والذنب لم يحتج إلى الاستعاذة.

الجواب: أجاب الخطيب الشّربينيّ عن ذلك بعدة أجوبة:

الأول: أنّ معنى هذا الكلام: إن حصل في قلبك نزغ فاستعذ بالله، كما أنه ﷻ قال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾الزمر: ٦٥ ولم يدل ذلك على أنه أشرك.

الثاني: على تقدير أنه لو حصل وسوسة من الشيطان، لكن الله ﷻ قد عصم قلب نبيه ﷺ من قبولها وثباتها في قلبه، وإنما القادح لو قبل ﷺ وسوسة، والآية لا تدل على ذلك.

فقد روي أنه ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي إلا أنّ الله ﷻ أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[٤].

قال النووي: يروى بفتح الميم وضمها أي قوله: (فأسلم)، فمن ضمها معناه: فأسلمُ أنا من شره

---

(١) ينظر: عصمة الأنبياء (ص٤٠)، شرح المقاصد (٢/ ١٩٥)، فتح الباري (٦/ ٣٩١-٣٩٢)، (٩/ ٣٨٧).

(٢) السراج المنير (٣/ ١٩) (١/ ٣٣٠).

(٣) التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٦).

(٤) صحيح مسلم، ك/ صفة القيامة والجنة والنار، ب: تَحْريش الشّيطانِ..، رقم (٢٨١٤)، (٤/ ٢١٦٧).

وفتنته، ومن فتحها قال معناه: إنّ القرين أسلمَ أي: صار مسلماً فلا يأمرني إلا بخير[1].

الثالث: أنّ الخطاب للنبيّ ﷺ والمراد به غيره، أي: وإما ينزغنك أيها الإنسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله، كقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨[2].

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الآية لا حجة فيها لمن زعم عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام من نزغ الشيطان ووسوسته.

ثانيًا: هل النبوة منحة أم مكتسبة؟

اختلفت المذاهب في النبوة، هل هي منحة وفضل من الله ﷻ، يختص بها من يشاء من عباده، أو أنها تنال بالكسب والاجتهاد، أو أنها صفة ذاتية في النبي يتميز بها على غيره؟

فذهبت **الفلاسفة** إلى أن النبوة مكتسبة تنال بالاجتهاد، وتحصل بأنواع الرياضات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات، وبالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

وهذا يترتب عليه عدة مفاسد، أهمها: تجويز وجود نبيين في وقت واحد، وتجويز وجود نبي بعد محمد ﷺ، وهذا يترتب عليه تكذيب الكتاب والسنّة، قال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠، وقال ﷺ: **"لا نبي بعدي"**[3].

وذهبت **الكرامية** [4] إلى أنها صفة ذاتية في النبي يتميز بها على غيره من بني نوعه.

أما عند **أهل السنّة** فهي منحة وفضل من الله ﷻ، يختص بها من يشاء من عباده، لا دخل للنفس

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٨).

(٢) السراج المنير (١/ ٤٣٣) وينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (٢/ ٢٧٥).

(٣) صحيح البخاري، ك/ فضائل الصحابة، ب/ مناقب علي، رقم (٣٧٠٦)، (٥/ ١٩)، صحيح مسلم، ك/ فضائل الصحابة، ب/ من فضائل علي، رقم (٢٤٠٤)، (٤/ ١٨٧٠).

(٤) الكرَّاميَّة: فرقة كلامية ظهرت في القرن الثّالث الهجري، والكرامية نسبة إلى محمد بن كرّام، كان من المجسمة والمشبهة. (يراجع: الملل والنحل (١/ ١٠٧).



فيها وفي اكتسابها [١].

رأي الخطيب الشّربينيّ:

ذهب الخطيب الشّربينيّ إلى أن النبوة هبة وفضل واصطفاء من الله ﷻ، يختص بها من يشاء من عباده، فلا تنال بالمجاهدات والرياضات، كأن يلازم الخلوة والعبادة...

وقد **استدل** على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾الحج: ٧٥، فأخبر ﷻ أنّ الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه.

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ الأنعام: ١٢٤، فهذا دليل أن النبوّة ليست بالنسب ولا بالمال ولا بالسن، وإنما هي بفضائل نفسانية، يخص الله بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها [٢].

وبذلك يظهر أن الخطيب قد وافق أهل السنّة في كون النبوة هبة من الله ﷻ، يهبها من يشاء من عباده.

ثالثًا: إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ:

استدل الخطيب الشّربينيّ بالمعجزة على صحة نبوّة سيدنا محمد ﷺ، مبينًا أن الله ﷻ قد جعل معجزة كل نبيّ من جنس ما كان غالبًا على أهل ذلك الزمان، ولما كانت الفصاحة غالبة على أهل زمان محمد ﷺ كانت معجزته من جنس الفصاحة، وكان ﷺ أميّا، لا يقرأ ولا يكتب، فجعل الله ﷻ القرآن الكريم معجزة كبرى خالدة دالة على صدقه.

وقد تحدى به النبي ﷺ قومه، مستخدمًا طريق التدلي والتدرج والنزول، وهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة والبلاغة وتهالكهم على المضادّة لم يتصدّوا لمعارضته، بل التجؤوا إلى المقاتلة وبذل المهج والأرواح، ولم يقدروا على المعارضة، فتحداهم ﷺ **أولاً** أن يأتوا بمثل

---

(١) ينظر: المواقف (٣/ ٣٣٢-٣٣٣)، شرح الكبرى للسنوسي (ص٢٢٤)، ط/ (١)، ط/ مصطفى الحلبي، إطلالة على دلائل النبوة والرسالة لدى المتكلمين، أ. د/ عبد الحميد عز العرب، (ص٧-٨)، بدون طبعة وت.

(٢) ينظر: السراج المنير (١/ ٨٤)، (١/ ٤٤٨)، (٢/ ٥٦٧).

القرآن فعجزوا، قال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾الإسراء: ٨٨، ثم تحدّاهم **ثانيًا** أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، قال ﷻ: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ ﴾ هود: ١٣، ثم تحدّاهم **ثالثًا** أن يأتوا بسورة واحدة فعجزوا، قال ﷻ: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾البقرة: ٢٣...، فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله ﷻ في إثبات أنّ القرآن معجز، عجز عنه أهل السماوات والأرض.

ولكي تطمئن نفس المتردد وتنقطع حجة الجاحد فقد أظهر الله على يد نبيه ﷺ كثيرًا من المعجزات الحسية الخارقة للعادة للذين لا يقنعون إلا بما يقع تحت الحس، وذلك كانشقاق القمر بإشارته [(١)]، وتسليم الحجر عليه[(٢)]، ونبع الماء من بين أصابعه[(٣)]، وغير ذلك مما لا يحصيه إلا الله، فكان ذلك كله دليلاً واضحـًا وبرهانـًا قاطعـًا على صدق مَن ظهرت على يده، وإذا تأمله المنصف ذلك فلا يسعه إلا الجزم بصحة نبوته ﷺ[٤].

رابعًا: كرامات الأولياء:

الكرامة: أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم[(٥)].

مذاهب العلماء في الكرامة:

قبل أن يذكر الخطيب الشّربينيّ رأيه في الكرامة يعرض أولاً لمذاهب العلماء فيها على النحو التالي:

١-مذهب جمهور أهل السنّة: ذهبوا إلى جواز الكرامة ووقوعها للأولياء، وقد احتجوا على

---

(١) صحيح البخاري، ك: المناقب، ب: سؤال المشركين، رقم (٣٦٣٦)، (٤/ ٢٠٩).

(٢) صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: فضل نسب النبي...، رقم (٢٢٧٧)، (٤/ ١٧٨٢).

(٣) صحيح البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٧٢)، (٤/ ١٩٢).

(٤) ينظر: السراج المنير (١/ ٣٦)، (١/ ٦٦)، (١/ ٤٨٤)، (١/ ٥٠٠)، (٢/ ١٠، ١٩-٢٠).

(٥) ينظر: تحفة المريد (ص ٢٥٣)، شرح إتحاف المريد (٢/ ٢٤٧).



الجواز بأن ظهور الخارق أمر ممكن في نفسه، وكل ما هو كذلك فهو صالح لشمول القدرة لإيجاده، ولا يلزم من فرض وقوعه محال، واحتجوا على الوقوع بقصة مريم وولادتها لعيسى عليهما السلام دون زوج، وبقصة أصحاب الكهف وما وقع لهم... [١].

٢-مذهب جمهور المعتزلة ومن وافقهم: ذهبوا إلى منعها وعدم جوازها.

قال الزمخشري: "في هذه الآية -أي: قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾ الجن: ٢٧-إبطال الكرامات؛ لأنّ الذين تضاف إليهم ـ وإن كانوا أولياء مرتضين ـ فليسوا برسل، وقد خص الله ﷻ الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب" [٢].

ولأنها ـ أي: الكرامة ـ لو كانت تظهر على الصالحين لكانت بأن تظهر على السلف الصالح من كبار الصحابة أولى بأن تظهر على غيرهم [٣].

رأي الخطيب الشّربينيّ:

رأى الخطيب رأي أهل السنّة، وهو إثبات الكرامات للأولياء، فذكر أنه يجوز أن يلهم الله ﷻ بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل، فيخبر به وهو من اطلاع الله إياه على ذلك.

واستدل على صحة ذلك بقول الله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٣٧، أي: من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والأبواب مغلقة عليك، قالت وهي صغيرة هو من عند الله يأتيني به من الجنة، وفي هذا دليل وأي دليل على كرامة الأولياء، ويدل عليها أيضًا قصة أصحاب الكهف ولبثهم فيه سنين عدداً بلا طعام ولا شراب، وقصة بلقيس ـ ملكة سبأ ـ وكيف طلب سليمان عرشها فأتى له به عبد من عباد الله قبل ارتداد الطرف، قال ﷻ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ **النمل: ٤٠**

---

(١) السراج المنير (٤/ ٤٠٩)، وينظر: تحفة المريد (ص ٢٥٢-٢٥٣)، شرح إتحاف المريد (٢/ ٢٤٧ وما بعدها)،

(٢) تفسير الزمخشري، (٤/ ٦٣٢-٦٣٣)، وينظر: السراج المنير (٤/ ٤٠٩).

(٣) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار (١٥/ ٢٤١)، ت.د/ محمود محمد قاسم.

كما وردت كرامات كثيرة عن الصحابة رضوان الله عليهم، من أشهرها: رؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر جيشه بنهاوند حين قال: يا سارية الجبل، وسماع سارية ذلك، وكان بينهما مسافة شهر... [(١)].

وما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء، وإن يكن في أمّتي أحد فإنه عمر"[(٢)].

وبالجملة فكرامات الأولياء حق، ثابتة بالكتاب والسنّة، وليس بعجيب إنكارها من أهل البدع والأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم، ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء، فوقعوا في أولياء الله ﷻ أصحاب الكرامات يمزقونهم ويسمونهم بالجملة المتصوّفة، ولم يعرفوا أنّ مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة، ونقاء السريرة، واقتفاء الطريقة، واصطفاء الحقيقة[(٣)].

وما يمكن أن يعترض به المعتزلة من أنه لو جازت الكرامة للأولياء لما تميزت معجزة النبي من غيرها، ولالتبس النبي بغيره أجاب عنه الخطيب الشّربينيّ بأنّ المعجزة والكرامة متساويتان في كونهما من الخوارق، ولكنهما يفترقان من وجهين:

الأول: أن معجزة النبي أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدّي، بخلاف الكرامة؛ فإنه لا يجوز للولي أن يدّعي خرقًا للعادة مع التحدّي؛ إذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته [(٤)].

الثاني: أن النبيّ يدّعي المعجزة ويقطع بها، والوليّ إذا ادّعى الكرامة لا يقطع بها؛ لأنّ المعجز يجب ظهوره والتحدي به، والكرامة لا يجب ظهورها [(٥)].

فبان بذلك الفرق بين المعجزة والكرامة.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٧٠).

(٢) صحيح البخاري، ك: أصحاب النبي، ب: مناقب عمر، رقم (٣٦٨٩)، (٥/ ١٢).

(٣) ينظر: السراج المنير (١/ ١٧٤)، (٤/ ٤٠٩).

(٤) ينظر: السراج المنير (٤/ ٤٠٩)، شرح المقاصد (٢/ ٢٠٣).

(٥) السراج المنير (٢/ ٣٧١)، وينظر: أصول الدين للبغدادي، (ص١٧٤-١٧٥)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ (٣)، بدون ت.



المبحث السادس

في بعض الأمور السمعية

السمعيات هي المبحث الثالث من مباحث علم العقيدة، وهي ما يتوقف على السمع من الاعتقادات التي لا يستقل العقل بإدراكها، وتسمى بالغيبيات؛ لأنه أمور غائبة عن الحواس، وإن كانت أعم من السمعيات، فكل أمر سمعي غيب، وليس كل غيب أمرًا سمعيًا.

وقد أشار الخطيب الشّربينيّ عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ البقرة: ٣ إلى بعض الأمور الغيبية، فقال: "أي: يصدّقون بما غاب عنهم من البعث، والجزاء، والجنة والنار، والصراط والميزان" (١).

وسوف أعرض لبعض المسائل الغيبية التي نبه عليها الخطيب الشّربينيّ من خلال تفسيره (السراج المنير).

الملائكة

إن الإيمان بالملائكة هو أحد أركان العقيدة الإسلامية، وذلك بأن يعتقد المؤمن اعتقادًا جازمًا بوجودهم، وبأنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وقد دل عليه الكتاب الكريم والسنّة النبوية المطهرة، وانعقد عليه الإجماع، وعليه فمنكر الملائكة كافر، قال ﷻ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥



تعريف الملائكة:

عرَّف الخطيب الشّربينيّ الملائكة في اللغة وفي الاصطلاح:

أما في **اللغة** فالملائكة جمع ملك، أصله ملاك، والتاء لتأنيث الجمع، وهو مقلوب مألك من الألوكة، وهي الرسالة؛ لأنهم وسائط بين الله ﷻ وبين الناس، فهم رسل الله أو كالرسل إليهم؛ لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس (٢).

---

(١) السراج المنير (١/ ١٧).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، دار الدعوة، بدون تاريخ.

وأما الملائكة في **الاصطلاح** فقد ذكر الخطيب الشّربينيّ في تفسيره عند الكلام على قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣، **أن العقلاء قد اختلفوا في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها.**

فذهب **أهل السنّة** إلى أنها أجسام لطيفة شفافة نورانية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، واستدلوا على ذلك بأنّ الرسل كانوا يرونهم كذلك.

وزعم **الفلاسفة** أنهم جواهر مجرّدة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة.

وقالت **طائفة من النصارى**: هي النفوس الفاضلة أي: المتصفة بفضائل العلم والعمل، بخلاف الشرّيرة(١).

وممّا يرجح ما ذهب إليه أهل السنّة من أنّها أجسام قادرة على التشكل بإذن الله ما ورد في كتاب الله ﷻ في وصفهم بأنهم عباد مكرمون، يفعلون ما يؤمرون، وما ورد في السنّة من أحوال جبريل مع النبي في تبليغ الوحي وظهوره في صورة دحية الكلبي، وإلا فلا مستند لأي فرقة من هذه الفرق في تعيين المعنى الذي اختارته دون غيره(٢).

عصمة الملائكة:

اتفق الجمهور على أن كل الملائكة محفوظون معصومون من جميع الذنوب، وقد ذهب الخطيب الشّربينيّ إلى القول بعصمتهم، حيث قال عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾البقرة: ٣٠:

"ليس باعتراض على الله ﷻ، ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة، فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك؛ لقوله ﷻ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنبياء:٢٦-٢٧، **وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله ﷻ، أو تلق من اللوح، أو استنباط عما ركز في**

---

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٤).

(٢) ينظر: القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة، (٣/ ١٤٤-١٤٥)، ت د/ عوض الله حجازي، بدون طبعة وتاريخ.

عقولهم أنّ العصمة من خواصهم، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر، وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب"(١).

وقال أيضًا: "معرفةُ الملائكةِ التصديقُ بأنّهم أرواحٌ روحانيةٌ، لطائف نورانيةٌ، جواهرُ بسيطةٌ عقليةٌ، فعالُهم صورٌ مجردةٌ، أملاكٌ روحانيةٌ، محيطةٌ بالأجسامِ الجسمانيّةِ، لا يتّصفون بذكورةٍ ولا أنوثةٍ، ولهم عقلٌ بلا شهوةٍ، ونورٌ بلا ظلمةٌ، وشبحٌ بلا أجسامٍ، وصفاءٌ بلا كدر، وحفظٌ بلا إهمالٍ، وطاعةٌ بلا معصيةٍ، وتسبيحٌ وتهليلٌ وتكبيرٌ وتقديسٌ وتحميدٌ بلا غفلةٍ، في عبادتِهم مكرَمون، لا يعصون اللهَ ما أمرَهم، ويفعلون ما يُؤمرون، يسبحون الله الليلَ والنهارَ لا يَفتُرون"(٢).

وبذلك يكون الخطيب الشّربينيّ قد اتفق مع جمهور الأمة في القول بعصمة الملائكة، وهو الصحيح.

التفاضل بين الملائكة والأنبياء: تعرض الخطيب الشّربينيّ ـ رحمه الله ـ لمسألة التفاضل بين الملائكة والأنبياء، وذكر رأيه فيها، حيث إن العلماء اختلفوا في تفضيل الملائكة على الأنبياء كالآتي:

١-ذهب **الأشاعرة** إلى أن أفضل الخلق محمد ﷺ، يليه أولو العزم من الرسل، ثم الملائكة، ثم البشر.

٢-وذهبت **الماتريدية** إلى أن الأنبياء أفضل من رؤساء الملائكة، ورؤساء الملائكة أفضل من أولياء البشر غير الأنبياء، وأولياء البشر أفضل من عوام الملائكة.

٣-وذهبت **المعتزلة والفلاسفة** إلى أن الملائكة العلوية أفضل من الأنبياء، أما السفلية فالأنبياء أفضل منهم.

وقد قدم كل فريق أدلته على ما ارتآه(٣).

---

(١)السراج المنير (١/ ٤٥).

(٢) ينظر: (ص٧٣-٧٤) من البحث.

(٣) ينظر: شرح المقاصد (٢/ ٢٠٠ وما بعدها).

رأي الخطيب الشّربينيّ:

رأى الخطيب الشّربينيّ أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة كما ذهب إليه أهل السنّة.

فقال عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الأنعام: ٨٦ : "فيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق من إنس وملك، فيستدلّ بهذه الآية على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة" (١).

وفي رده على من تمسك بقوله ﷻ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ النساء: ١٧٢ كدليل على أفضلية الملائكة على الأنبياء قال: "لا حجة فيه على أن الملائكة أفضل من الأنبياء، كما زعمه بعض المعتزلة من أنّ المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه.

وبيّن الخطيب ـ نقلًا عن الطيبي والبقاعي ـ أن "ذكر الملائكة للاستطراد، وأنه من باب التتميم لا من باب الترقي، أو من باب الترقي في الخلق لا في المخلوق"(٢).

وما يمكن أن يعترض به من أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأنه ﷺ قد ادعى منزلة أقوى من منزلته، فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ الأنعام: ٥٠ ، ولولا أنّ الملائكة أفضل لم يصح ذلك، أجاب عنه بوجهين:

١-أنه ﷺ إنما قال ذلك تواضعًا لله ﷻ واعترافًا بالعبودية حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح.

٢-أنّ المراد بما قاله نفي قدرته عن أفعال لا يقوى عليها إلا الملائكة، وذلك لا يدل على أنهم أفضل من الأنبياء(٣).

هذا وأرى أن كل دليل من هذه الأدلة المذكورة ليس قطعيًّا في المدعى، لذا بيّن التفتازاني ذلك

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٨)، (١/ ٤٣٤)
(٢) ينظر: المرجع السابق (٢/ ١).
(٣) ينظر: المرجع السابق (١/ ٤٢١).

الخلاف الذي لم يحسم بقوله: "ولا قاطع في أحد الجانبين"(١).

ويمكن القول بأنه لا يترتب على الخلاف في هذه المسألة ثمرة تذكر، سواء قلنا بتفضيل الملائكة على الأنبياء، أو بتفضيل الأنبياء على الملائكة.

الحساب

الحساب من الأمور السمعية التي أخبرنا بها الكتاب الكريم والسنّة النبوية المطهرة، وهو حق يجب على كل مكلف أن يؤمن بأنه سيقف أمام ربه للحساب بمقتضى العدالة الإلهية.

حقيقته:

لغة: العد (٢).

اصطلاحًا: توقيف الله عباده في المحشر على أعمالهم، فعلًا أو قولًا أو اعتقادًا تفصيلًا، فيجازيهم بأعمالهم خيرًا كانت أو شرًا (٣).

قال الخطيب الشّربينيّ من خلال تفسيره لقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ الأنعام: ٦٢: "يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث بذلك؛ لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد، فيحاسب خلقه بنفسه، لا يشغله حساب بعضهم عن بعض"(٤).

كيفية الحساب:

يختلف الحساب باختلاف حالهم، فمنه اليسير الهين، ومنه العسير الشديد.

قال الخطيب عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾الانشقاق: ٨: {فسوف يحاسب} أي: يقع حسابه بوعد لا خلف فيه، وإن طال الأمد لإظهار الجبروت والكبرياء والقهر، {حسابًا يسيراً} هو عرض عمله عليه، كما فسر في حديث الصحيحين، وفيه: "من نوقش الحساب هلك"، وفي رواية: "من حوسب عذب"، وقالت عائشة: "أليس يقول الله ﷻ: {فسوف يحاسب

---

(١) شرح المقاصد (٢/ ١٩٩).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧١).

(٣) ينظر: شرح الخريدة البهية (٣/ ٨)، السراج المنير (٢/ ١٩٥).

(٤) السراج المنير (١/ ٤٢٦).

حسابًا يسيراً﴾ فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب"[١].

وإنما حوسب حسابًا سهلاً: لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولاً، فلأجل ذلك تعرض أعماله، فيقبل حسنها، ويعفى عن سيئها" [٢].

اللهمّ أدخلنا الجنّة من غير مناقشة حساب، ولا سابقة عذاب.

الميزان

الميزان من الأمور الغيبية التي أخبر عنها الله ﷻ، وورد إثباته في الكتاب الكريم والسنّة النبوية المطهرة بعبارات واضحة وصريحة لا تحتمل التأويل، كما أجمعت عليه الأمة.

حقيقته: هو ميزان حقيقي، له كفتان ولسان، كهيئة موازين الدنيا.

قال الخطيب: "الذي عليه أئمة السلف أن الله ﷻ يضع ميزانًا حقيقة، توزن به أعمال العباد، له كفتان ولسان...، فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فإذا رجحت فالجنة له، ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار" [٣].

الحكمة من الميزان:

والحكمة من الميزان أن ينظر إليها الخلائق؛ إظهاراً للعدل الإلهي وبيان الفضل، وقطعًا للمعذرة فتقوم الحجة على المخالفين [٤].

اختلاف العلماء في الموزون:

ذكر الخطيب الشربيني اختلاف العلماء في الموزون على أقوال:

١-الموزون هو الصحف المكتوب فيها الأعمال، ويؤيده ما روي أنّ رجلاً يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مدّ البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة،

---

(١) صحيح مسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: إثبات الحساب، رقم (٢٨٧٦)، (٤/ ٢٢٠٤).

(٢) السراج المنير (٤/ ٥٠٧)، (٤/ ٥٢٩).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٥٠٦)، (٤/ ٥٧٩).

(٤) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٦٣-٤٦٤).

فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة" [١].

٢-الموزون هو الأعمال، وذلك بأن يؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة، وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان.

٣-قيل: الموزون هو الشخص نفسه، فقد وردت أحاديث تدل على أن العامل نفسه يوزن، كما روي عنه ﷺ أنه قال: "ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة"[٢][٣].



شبهة وردها: هذا وتمسك منكرو الميزان الحقيقي (وهم المعتزلة الذين فسروا الميزان بالعدل) بشبهة مردها ضيق الأفق، وقصر النظر، وهي أن الأعمال أعراض، وهي لا توصف بالثقل والخفة، ولا يمكن وزنها، فكيف بها إذا زالت أو تلاشت؟

وقد أجاب الخطيب الشّربينيّ عنها بوجهين:

أحدهما: أن توزن صحائف الأعمال، فتوضع صحائف الحسنات في كفة، وصحائف السيئات في كفة، ويشهد لذلك حديث البطاقة.

والثاني: أن توضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة [٤].

ورأى الخطيب الشّربينيّ أن الميزان واحد، وعن وجه الجمع (موازين) أجاب بأن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد، أو لأن الميزان يشتمل على الكفتين واللسان والساهون، ولا يتم الوزن

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد، (٥/ ٢٤)، رقم (٢٦٣٩). ت. الأستاذ/ إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، ط/ الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
(٢) صحيح مسلم، ك: صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٥)، (٤/ ٢١٤٧).
(٣) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٦٣-٤٦٤).
(٤) ينظر: السراج المنير (٢/ ٥٠٧)، شرح المقاصد (٢/ ٢٢٣)، إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام (ص٢١٦).

إلا بذلك كله، أو لاختلاف الموزونات، أو لكثرة من توزن أعمالهم [1].

وأرى لزامًا علينا أن نمسك عن تعيين نوع هذا الميزان وحقيقة جوهره وكيفيته ونحو ذلك؛ إذ لا قاطع على ذلك ولا سبيل إليه، فيكفي أن نؤمن به، دون أن نقحم عقولنا القاصرة في إدراكها.

اللهم ثبتنا وثقل موازيننا، وحقق إيماننا، وارفع درجاتنا، واغفر خطيئتنا.



الشفاعة الأخروية

الشفاعة من الأمور السمعية التي أخبرنا بها القرآن الكريم والسنّة النبوية، والإيمان بها جزء من عقيدة المؤمن.

تعريف الشفاعة:

الشفاعة في **اللغة**: الوسيلة وطلب المساعدة، والشفاعة كلام الشفيع [2].

وفي **الاصطلاح**: هي سؤال الله الخير للناس في الآخرة، فهي نوع من أنواع الدعاء المستجاب[3].

هذا، وقد تنسب الشفاعة إلى الله ﷻ، كما في قوله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٤٤ ، فيكون معناها: عفوه ﷻ عمن يشاء.

وشفاعات النبي ﷺ ثمانية، هي:

١ – شفاعته الكبرى العامة في الخلائق، وهي خاصة به حين يرغب الخلق إليه فيشفع في أهل الموقف ليقضي بينهم.

روي عن رسول الله ﷺ قال: "...فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي

---

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٦٤)، (٢/ ٥٠٦).

(٢) يراجع: المعجم الوسيط، (١/ ٤٨٧).

(٣) تحفة المريد (ص ٣٠٥).

حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ" قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ، قَالَ: "فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ" [١].

قال الخطيب: "الشفاعة العظمى يوم يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين، وتقوم الملائكة صفوفًا، والثقلان وسطهم، ويموج بعضهم في بعض من شدة ما هم فيه يطلبون من يشفع لهم، فيقصدون أكابر الأنبياء نبيًا نبيًا عليهم الصلاة والسلام، فيحيل بعضهم على بعض، وكل منهم يقول: "لست لها" حتى يأتوه ﷺ فيقول: «أنا لها»، ويقوم معه لواء الحمد، فيشفعه الله ﷻ، وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون"[٢].





٢- شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع لهم ليدخلوا الجنة.

٣- شفاعته في قوم استوجبوا دخول النار بذنوبهم، فيشفع فيهم، فلا يدخلون النار ويدخلون الجنة.

٤- شفاعته في رفع درجات أقوام وزيادة نعيمهم، فعن أم سلمة، قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه» [٣].

٥- شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، فعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب»، فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني

---

(١) صحيح مسلم ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (٤٩٥)، (١/ ١٢٣).

(٢) السراج المنير (٢/ ٥٣٣).

(٣) صحيح مسلم ك: الجنائز، ب: في إغماض الميت والدعاء له، رقم (٢١٦٩)، (٣/ ٣٨).

منهم قال: «سبقك بها عكاشة» [1].

٦- شفاعته في بعض أهل النار حتى يخفف من عذابهم كشفاعته في عمه أبي طالب، فعن العباس، قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[2].

٧- شفاعته في أن يأذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، فعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا» [3].

٨- شفاعته ﷺ لمرتكب الكبيرة الذي مات دون توبة بألا يدخل النار أصلًا، أو أن يخرج من النار بعد أن أدخلها [4].

وهذا النوع الأخير من الشفاعة قد كثر فيه الكلام بين أهل السنّة ومخالفيهم، وقد بينه الخطيب الشّربينيّ على النحو التالي:

-**ذهبت المعتزلة** إلى أن الشفاعة لا تكون لصاحب الكبيرة، الذي مات ولم يتب منها، وذلك بناء على أصلهم الثالث الذي قرروه وهو الوعد الوعيد، فالشفاعة لا تجوز من أجله؛ لأنها تناقض مبدأ الوعيد للعصاة بالتخليد في النار، وعندهم الشفاعة إنما تكون في رفع الدرجات وزيادة الثواب فقط [5].

وقولهم هذا مردود بما تواترت به الأحاديث في ذلك.

-**وأنكره الخوارج** الذين يحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر والخلود في النار، وذلك بناء على أن العمل عندهم جزء من الإيمان.

---

(١) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة...، (٢١٦)، (١/ ١٩٧).

(٢) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: شفاعة النبي لأبي طالب، رقم (٢٠٩) (١/ ١٩٤).

(٣) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: في قول النبي: أنا أول الناس يشفع في الجنة...، (١٩٦)، (١/ ١٨٨).

(٤) ينظر: إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام، أ. د/ عبد الحميد على عز العرب، (ص٢٢٨-٢٣١)، دار المنار-القاهرة، ١٤٠٨ه-١٩٨٧م، إثبات الشفاعة، الذهبي (ص ٢٠)، ت/ إبراهيم باجس عبد المجيد، ط/ أضواء السلف، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥) يراجع: شرح الأصول الخمسة، (ص ٦٨٨) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص٢٦٧)، السراج المنير (١/ ٥٦).



-بينما **ذهب أهل السنّة** إلى أن الشفاعة تكون للمؤمنين الطائعين والمذنبين على السواء، وذلك بناء على قولهم بجواز غفران الله ﷻ، فقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ سواء أكانت صغيرة أم كبيرة سواء أتاب فاعلها أم لا [١].

وإلى هذا الرأي ذهب الخطيب الشّربينيّ، حيث ذكر أن شفاعة نبينا ﷺ للمذنبين من أمّته قد ثبتت بصحيح النقل..،ولا تكون إلابإذن الله ،كما قال:﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾البقرة:٢٥٥"[٢].



واستدل بقوله ﷻ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾المدثر: ٤٨ ، حيث بيّن أن هذه الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين بمفهومها؛ لأن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين" [٣].

ويدخل في ذلك أهل الكبائر من المسلمين؛ إذ كل من اتخذ عند الرحمن عهدًا وجب دخوله فيه، قال ﷻ: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾مريم: ٨٧ ، وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدًا، وهو التوحيد، فوجب دخوله تحته.

ويؤيده ما روى عن ابن مسعود أنه ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ عند كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا: وكيف ذلك قال: يقول كل صباح ومساء: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني إلى نفسي فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهد توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة» [٤].

---

(١) ينظر: شرح المقاصد، (٥/ ١٥٨)، السراج المنير (١/ ٣٠٨).

(٢) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٢١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٤/ ٤٣٦)

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٩٥) بلفظ قريب، رقم (٣٩١٦).

فيظهر مما سبق أمران:

١-أن المراد من العهد كلمة الشهادة.

٢-ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر [(١)].

كما استدل الخطيب الشّربينيّ على الشفاعة بحديث رسول الله ﷺ: "يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ..." [(٢)].

موقف الخطيب من المعتزلة:

تمسكت المعتزلة بنصوص من القرآن الكريم تدل على نفي الشفاعة للمذنبين، منها:

١-قوله ﷻ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ غافر: ١٨ حيث قالوا: نفيُ حصول شفيع لهم يطاع يوجب ألا يحصل لهم هذا الشفيع.

وأجاب الخطيب عن ذلك بعدة وجوه، منها:

الأول: أنه ﷻ نفى أن يحصل لهم شفيع يطاع، وهذا لا يدل على نفي الشفيع، كقولك: ما عندي كتاب يباع، لا يقتضي نفي الكتاب، فهذا ينفي أن لهم شفيعًا يطيعه الله ﷻ، ما من شفيع إلا من بعد إذنه.

الثاني: أن المراد بالظالمين في هذه الآية ههنا الكفار؛ لأنها وردت في زجرهم.

الثالث: أن لفظ الظالمين لا يخلو إما أن يفيد الاستغراق أو لا:

فإن كان المراد: جميعهم فيدخل فيه الكفار، وليس لهذا الجمع شفيع؛ لأن بعضه كفار، وليس لهم شفيع، فحينئذ لا يكون لهذا الجمع شفيع.

وإن لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع [(٣)].

٢-كما تمسكت المعتزلة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر بقوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن

---

(١) ينظر: السراج المنير (٢/ ٤٤٥).

(٢) صحيح مسلم ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (٤٩٥)، (١/ ١٢٣).

(٣) ينظر: السراج المنير (٣/ ٤٧٦).





نَفۡسٍ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ البقرة: ٤٨ حيث قالوا: إن هذه الآية دلت على أنه لا تجزي نفس عن نفس شيئا على سبيل العموم؛ إذ النكرة في سياق النفي تفيد العموم، وتأثير شفاعة النبي مناف لمقتضى هذه الآية، فلا يثبت التأثير، وإن فلا شفاعة للعصاة[١].

وقد ذكر الخطيب الشّربينيّ أن أهل السنّة قد أجابوا عن ذلك بعدة وجوه، منها:

١-أن الآية مخصوصة بالكفار؛ للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة، ويؤيد هذا أن الخطاب معهم، ويكون المراد: أنه ليس لها شفاعة فتقبل، كما قال ﷻ حاكيًا عنهم: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٠.

٢-أن الآية نزلت ردًا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

٣-أنها لا تشفع إلا بإذن الله ﷻ.

ومن هنا يسقط قول المعتزلة: إن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر[٢].

وكأن الخطيب بعد ذلك كله يريد أن يقول: إن الشفاعة لا تقبل إلا بشروط ثلاثة، وهي:

أولاً: أن تكون الشفاعة بإذن الله تعالى.

ثانيًا: أن يرتضيها الله تعالى في المشفع فيه.

ثالثًا: أن يكون للمشفع فيه عهد بينه وبين الله تعالى[٣].

وهذا وليست الشفاعة قاصرة على نبينا ﷺ، بل قد يشفع غيره من الملائكة والأنبياء والمؤمنون بعضهم لبعض، كل على قدر درجته ومنزلته عند الله ﷻ[٤].

وبذلك يكون الخطيب الشّربينيّ قد وافق أهل السنّة في إثبات الشفاعة، وكونها للمؤمنين والمذنبين من أمة محمد ﷺ على حد سواء.

رزقنا الله ﷻ جميعًا شفاعة نبيه محمد ﷺ.

---

(١) مطامع الأنظار على طوالع الأنوار، أبو الثناء الأصفهاني، (ص٣٢٧)، المطبعة الخيرية-مصر، ١٣٢٣هـ.

(٢) ينظر: السراج المنير (١/ ٥٦-٥٧)، (٢/ ٥٠٢).

(٣) ينظر: إطلالة على عقيدة البعث (ص ٢٢٧).

(٤) ينظر: السراج المنير (١/ ٤٢١).

الجنة والنار

الجنة والنار من الغيبيات الذي أمرنا بالإيمان بهما، وهما أمران ثابتان بالقرآن الكريم، والسنّة النبوية وإجماع المسلمين.

فيجب الإيمان بأن الجنة دار أعدها الله لأوليائه المؤمنين، قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ آل عمران: ١٣٣، وأن النار دار أعدها الله للكافرين، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾التحريم: ٦

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وجود الجنة والنار وفناؤهما:

الذي عليه جمهور المسلمين أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنهما باقيتان خالدتان لا تفنيان أبدًا؛ لتواتر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك.

وقد وافق الخطيب الشّربينيّ جمهور المسلمين في وجود الجنة والنار وبقائهما.

فاستدل أولاً على وجود الجنة والنار الآن بما يأتي:

١-قوله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣: قال: "في ذلك دليل على أن الجنة مخلوقة الآن"، وقوله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤ حيث قال: "في ذلك دليل على أنّ النار مخلوقة معدّة لهم الآن"، وقوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾الملك: ٥

فقوله: (أعدت للمتقين) وقوله: (أعدت للكافرين) وقوله ﷻ: **{وأعتدنا لهم}** بصيغة الماضي الدالة على أن كلا من الجنة والنار قد أعده الله وهيأه لمستحقه، ولا يهيأ إلا ما كان موجودا، والقول بأنه عبر بالماضي عن المستقبل عدول عن الظاهر بدون مقتضى فلا يصار إليه [(١)].

٢-قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾التكوير: ١٢ قال: "احتج بهذه الآية من قال: النار مخلوقة الآن؛ لأنه يدل على أن سعيرها معلق بيوم القيامة" [(٢)].

---

(١) ينظر: السراج المنير (١/ ٣٦)، (١/ ٢٤٦)، (٢/ ٦٥٠)، (٤/ ٣٤٠).القول السديد (٣/ ١٨٣).

(٢) السراج المنير (٤/ ٤٩٢).

٣-وردت أحاديث صحيحة تثبت مشاهدة الرسول ﷺ للجنة والنار كما في حديث الإسراء والمعراج الذي رواه الإمام مسلم: "ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ"(١)؛ مما يدل على أن الجنة والنار موجودتان الآن (٢).

واستدل ثانيًا على بقاء الجنة والنار وخلودهما بما يلي:

١-﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ النساء: ٥٧ قال: "لما كان الخلود يطلق على المكث الطويل دفع ذلك بقوله ﷻ: {أبدا} أي: لا إلى آخر"(٣).

٢-قوله ﷻ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ الأحزاب: ٦٥ بيان لإرادة الحقيقة؛ لئلا يتوهم بالخلود المكث الطويل" (٤).

٣-قال الخطيب الشّربينيّ عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ البقرة: ٣٨ - ٣٩ : "في هذه الآيات دلالة على أنّ الجنة مخلوقة، وأنها في جهة عالية، وأنّ التوبة مقبولة، وأنّ متبع الهدى مأمون العاقبة، وأن عذاب النار دائم، وأن الكافر فيه مخلد، وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله ﷻ: {هم فيها خالدون}" (٥).

ومن هنا يمكن القول بأن الخطيب الشّربينيّ موافق لأهل السنّة في كون الجنة والنار موجودتين الآن، وأنهما باقيتان لا تفنيان، مخالفًا بذلك ما ذهب إليه المعتزلة من أن الجنة والنار لم يخلقا بعد.

أنجانا الله ﷻ جميعًا من ناره، وجعلنا في أهل جنته، إنه سميع مجيب.

---

(١) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله إلى السماوات...، رقم (٤٣٣)، (١/ ١٠٢).
(٢) السراج المنير (٢/ ٢٧٥)
(٣) السراج المنير (١/ ٣٣٤).
(٤) المرجع السابق (٣/ ٢٧٣).
(٥) المرجع السابق (١/ ٥٢).



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ...

فإنه في نهاية هذا البحث يمكن القول بأنني قد استطعت ـ بعون من الله ﷻ ـ أن أقف على عدة نتائج، كنت قد توصلت إليها مع الخطيب الشربيني في آرائه، والتي من أهمها:

١) سار الخطيب الشربيني في عرضه للجانب العقدي على نهج القرآن والسنة، واقتفى أثرهما في التدليل على القضايا العقدية؛ فجاء أسلوبًا سهلًا، واضح المعنى، بعيدًا عن التعقيد، خاليًا من الأساليب الفلسفية الصرفة التي طالما عفا عليها الزمن.

٢) رأى الخطيب الشربيني أن الإيمان هو التصديق فقط، وبناء على ذلك قرّر أنّ من ادّعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنًا، كما قرر أن الأعمال الصالحة ليست من حقيقة الإيمان، بل هي شرط كمال، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

ووافق الخطيب قول جمهور الأشاعرة والماتريدية والمحدثين، وهو أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ورأى أن هذا القول أولى بالقبول؛ إذ أيدته النصوص المتعددة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس هذا فقط، بل رأى أن التصديق نفسه يقبل الزيادة والنقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة...

وكذلك رأى أنّ مرتكب الكبيرة أو المصر على الصغيرة يعد فاسقًا، ولا يخرجه ذلك عن الإيمان إلا إذا اعتقد حل المعصية، وذلك بناء على أنّ العمل ليس جزءًا من حقيقة الإيمان.

كما رأى الخطيب رأْيَ جمهور المتكلمين القائل بأن إيمان المقلد صحيح، ولم يفرق بين كونه المقلِّد قادرًا على النظر الصحيح أو لا، وكأنه يرى أن النظر والاستدلال شرط لكمال الإيمان، لا لأصل الإيمان.

٣) ذهب الخطيب مذهب أهل السنّة، وهو أنّ كلام الله ﷻ لا يكون حرفًا ولا صوتًا، بل صفة

مغايرة للحروف والأصوات، وما ورد من نصوص في الكتاب والسنّة ممّا يوهم ظاهرها حدوث القرآن حملَه على الألفاظ والكلمات، والحروف والأصوات.

٤) أثبت الخطيب الشّربينيّ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة متابعة لجمهور أهل السنّة، وذلك للأحاديث الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكييف، وكذلك أثبت رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا.



٥) رأى الخطيب رأي جمهور الأشاعرة، وهو أنّ الله ﷻ فاعل على سبيل الخلق، وأنّ العبد فاعل على سبيل الكسب، وخلص من ذلك إلى بطلان مذهب القدرية الذين يقولون: إنا نخلق أفعالنا، وبطلان مذهب الجبرية القائلين: لا فعل لنا أصلاً، وذكر أن الحق الذي لا مرية فيه ما ذهب إليه أهل السنّة من أن للعبد مشيئة تسمى: كسبًا، لا تؤثر إلا بمشيئة الله ﷻ.

وأرى أن الأسلم في مثل هذه القضايا الإمساك عن الخوض فيها، فيجب أن تؤخذ مأخذ التسليم لله ﷻ، ويكفي فيها أن يشعر الإنسان أنه يفعل ما يريد بإرادته دون تدخل من أحد.

٦) رأى الخطيب الشّربينيّ أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من كل نقيصة، ومبرؤون من كل ريبة، وقرر أن عصمتهم إنما هي بتوفيق الله ﷻ وحفظه إياهم.

وما تمسك به الطاعنون في عصمة الأنبياء من نصوص توهموا أنها تؤيد رأيهم في عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام أجاب عنها الخطيب بأن يُحمل هذا الذنب على أنّه كان قبل البعثة، أو كان عن نسيان، أو كان اجتهادًا منه، أو كان تاركًا الأولى...

٧) ذهب الخطيب إلى أن النبوة ليست بالنسب ولا بالسن، وإنما هي هبة واصطفاء من الله ﷻ، يختص بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها، فلا تنال بالمجاهدات والرياضات...، كما رأى أن كرامات الأولياء حق، ثابتة بالكتاب والسنّة.

٨) يجب الإيمان بالأمور السمعية في ضوء القران الكريم والسنة النبوية، وأن يؤمنوا بوجود الملائكة وعصمتهم، والميزان، والجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن، وأنهما باقيتان خالدتان لا تفنيان أبدًا، لورود الأخبار الصادقة بها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القسم الثاني: التحقيق

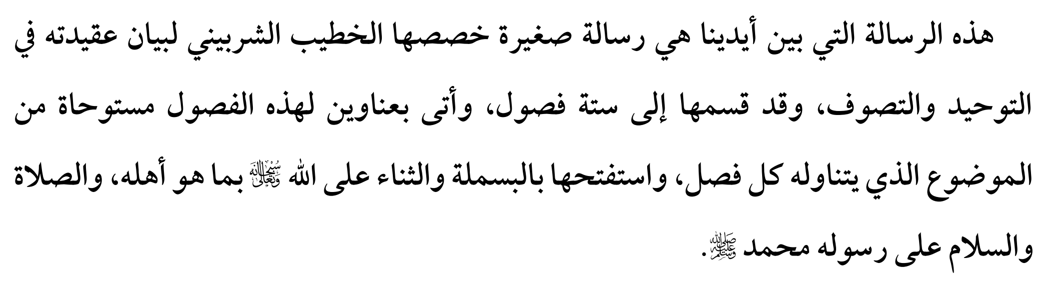
وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة عن المخطوطة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول
الأفكار الأساسية للرسالة




هذه الرسالة التي بين أيدينا هي رسالة صغيرة خصصها الخطيب الشربيني لبيان عقيدته في التوحيد والتصوف، وقد قسمها إلى ستة فصول، وأتى بعناوين لهذه الفصول مستوحاة من الموضوع الذي يتناوله كل فصل، واستفتحها بالبسملة والثناء على الله ﷻ بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ.

وفي الفصل **الأول** تحدث عمّا يجب على المكلَّف اعتقاده، فذكر أن أول ما يجب على الإنسان هو معرفة الله ﷻ بالأزل، والبقاء، والوحدانية...، وأنه موجود متصف بالقدرة والعلم والفضل والكمال، وأنه ليس مخلوقًا، ولا محصورًا، ولا محمولًا، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير...

ثم أردف حديثه بالكلام عن وجوب معرفة الملائكة والتصديق بوجودهم، وبأنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم لا يتَّصفون بذكورةٍ ولا أنوثةٍ؛ لمعارضته قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾الزخرف: ١٩

ثم وجوب معرفة الكتب السماوية المنزلة من عند الله ﷻ، وبيّن أن أفضلها القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد...، ولو اجتمعتْ الفصحاءُ على أن يأتوا بمثلِه أو سورةٍ أو آيةٍ فلا يستطيعون.

ثم وجوب معرفة الرسل عليهم السلام والإيمان بأن الله ﷻ بعثهم مبشرين ومنذرين، وأيدهم بالمعجزات، وأنه يجب لهم الصدق والعصمة والتبليغ والأمانة، ويستحيل عليهم الكذب والخيانة والجهل وكتمان ما أومروا بتبليغه...، ويجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر من مأكلٍ

ومشربٍ، ومنكحٍ وملبس..

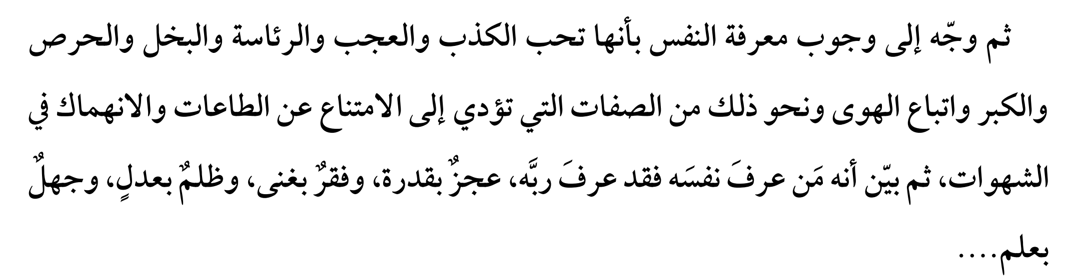
ثم وجوب معرفة الأولياء عليهم السلام باتباعهم ونفي ابتداعِهم، وسلامةِ صدورِهم، والاقتداء بهم في إقبالِهم على الحقِّ، وإدبارِهم عن الخلقِ، وإرشادِهم الضّالِ بالنصيحةِ...

ثم وجوب معرفة الإمام بالزمان والعدل والتحذير...، والملك بالإعانة والأمانة والمهلة.



ثم وجوب معرفة الدنيا بأنها دار لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ ﴾ **الحديد: ٢٠**

ووجوب معرفة الشيطان بأنه ينسي العباد ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ ﴾ المجادلة: ١٩، ويغويهم ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ **ص: ٨٢** ، ويوسوس لهم ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ **طه: ١٢٠**...


ثم وجّه إلى وجوب معرفة النفس بأنها تحب الكذب والعجب والرئاسة والبخل والحرص والكبر واتباع الهوى ونحو ذلك من الصفات التي تؤدي إلى الامتناع عن الطاعات والانهماك في الشهوات، ثم بيّن أنه مَن عرفَ نفسَه فقد عرفَ ربَّه، عجزٌ بقدرة، وفقرٌ بغنى، وظلمٌ بعدلٍ، وجهلٌ بعلم....

ثم تكلم عن وجوب معرفة الدين، وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

١-**إسلام**: وهو الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه.

٢-**إيمان**: وهو أن يؤمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، وبالقدرِ.

وعقد فصلًا مستقلًا للكلام عن شروطه كالإقرار مع الاعتقاد، والإخلاص، والتقوى...، وقسمه باعتبار الحقيقة والمجاز إلى قسمين: قسم مجازي وهو المستودع المسلوب، وقسم حقيقي وهو المستقر المنجي، وباعتبار المدح والذم إلى قسمين: مذموم وهو افتقار القلب إلى غير الله تعالى، ومحمود وهو الافتقار إلى الله، والرضا بما قسمه، وتفويض الأمر إليه ﷻ...

٣-**إحسان**: وهو أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لم تكنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

ثم أولى اهتمامًا بالتوبة باعتبارها أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات

الطالبين، فتناولها في فصل خاص، حكم فيه بوجوبها، وحدد شروطها، وهي: الإقلاع عن الذنب، والعزم على عدم العود، والندم على ما فات، ورد المظالم إلى أهلها، وترك خلان السوء...

ثم انتقل بعد ذلك إلى الكلام عن علم التصوف -علم الطريق-، أي: طريق الله ﷻ، ليدلي بدلوه فيه، فخصص فصلًا مستقلًا له، وفيه ذكر أن هذا العلم له ثلاثة أركان (الطريق-الشيخ-المريد).



بدأ بالركن الأول وهو الطريق، فقرر أن بدايته تستوجب التيقظ وعدم الغفلة، ورفض الفاني، وإيثار الباقي، وأنه طريق يريد المجاهدة والاستقامة...، ثم شرع في بيان الركن الثاني والثالث في هذا العلم، وهما: المريد والشيخ، وما يجب أن يتصف به كل منهما، فذكر أنه يجب على المريد أن يمتثل لأمر شيخه، وأن يكتم سره، ويعظم قدره، وألّا يكتم عليه شيئًا من حاله...، ويجب على الشيخ أن يكون أمينًا ناصحًا، سائرًا على كتاب الله وسنة رسوله، عالمًا بما يحتاج إليه المريد، وأن يكون عالمًا بآفات النفوس وأمراضها وكيفية مداواتها...، ثم عاد فأكد أنه يجب على الشيخ الأمر والهمة، وعلى المريد الامتثال والعمل.

ثم تحدث عن الزهد والورع وأقسامهما، وذكر أن الزاهد إنما يُعرف بأنه لا يفرحُ للدنيا إذا أقبلتْ، ولا يحزنُ عليها إذا أدبرتْ.

ثم عمد إلى الكلام عن الفقر والتصوف، مبينًا أن الفقر ليس هو التصوف، بل نهاية الفقر بداية التصوف، ثم أخذ في الحديث عن الصوفي والفقير وعرفهما بتعريفات عدة، وبيّن أن أحوال الصوفية مأخوذة من أحوال النبي ﷺ.

ولم يفت الخطيب الشربيني أن يتحدث عن الأدب، فأورده في فصل مستقل، فيه قسم الأدب إلى ظاهر وهو أدب الجوارح، وباطن وهو أدب القلب، وبيّن أنه إذا انضبط القلب انضبطت الجوارح، وإذا انهمل القلب انهملت الجوارح، وأن ما خامر القلوب فعلى الوجه أثره يلوح.

ثم تكلم عن بعض خصال السادة الصوفية التي من اتصف بها ثبتتْ له الولايةُ، وسلمَ من الاعتراضِ، وكان من أهلِ التّصوفِ والتّفويضِ.

ثم عقد فصلًا عن بيان معاني الفقير، فذكر أنه مَن افتقر إلى الله تعالى واستغنى عن كل ما سواه،



وأنه مَن مع ربه صادقًا متأدبًا بين يديه...

وختم الخطيب الشربيني عقيدته بأن الصوفيةَ لا يضعون الأشياءَ إلا في موضعِها، وأنهم يدبرون الأقوالَ والأحوالَ كلَّها بالعلمِ الشرعيِّ، وكذلك يقيمون أمرَ الخلقِ مقامَهم، وأمرَ الحقِّ مقامَه، كما أنهم يسترون ما ينبغي أن يسترَ، ويظهرون ما ينبغي أن يظهرَ، ويضعون الأمورَ كلَّها في مواضعِها بحضورِ عقلٍ، وصحةِ توحيدٍ، وكمالِ معرفةٍ، ورعايةِ صدقٍ وإخلاصٍ.

وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

المبحث الثاني
وصف المخطوطة

لقد وفقني الله ﷻ وتمكنت من الوقوف على ثلاث نسخ خطية للكتاب، وقد رأيت أن هذا العدد كافٍ لتحقيق الكتاب؛ لتطمئن له النفس، ويتوافق مع قواعد التحقيق العلمي، ومناهجه المتبعة عند المحققين.



وبيان النسخ التي اعتمدت عليها كالتالي:

النسخة الأولى: ورمزت إليها بالحرف (أ)، وهي موجودة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ([٣٤١] ٤٤٤٨)، بعنوان: (عقيدة في التوحيد والتصوف)، وليس عليها اسم الناسخ، تقع في (١٠) ورقات، وتحتوي كل ورقة على (٢٣ سطرًا)، وعلى غلافها: "عقيدة في التوحيد والتصوف للشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين محمد الخطيب الشّربينيّ رحمه الله ﷻ ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين".

ووجد مكتوبًا عليه أيضًا: "وقف وحبس شيخ الإسلام الشيخ نصر العزيزي، وهو في حال الصحة والسلامة على طلبة العلم بالأزهر وقفًا صحيحًا شرعيًّا، لا يباع ولا يوهب ولا يرهن، ومقرها تحت يد الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الرحمن الأشبولي، تاريخ الوقف سنة ١١٣٥هـ".

وقد كتب على الصفحة الأولى منها: "بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخُ العالمُ العلامةُ شمسُ الدينِ محمدٌ الخطيبُ الشّربينيّ رحمه اللهُ ﷻ: الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم أجمعين، وبعد فهذه رسالةٌ لطيفةٌ تتعلقُ بمَا يجبُ على المكلَّفِ اعتقادُه في حقِّ اللهِ ﷻ، وبعثِ الرسلِ، ونصبِ الموازين، ووزنِ الأعمالِ، وإنصافِ المظلومِ...".

وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها: "واعلمْ: أنّ الصوفيةَ لا يضعون الأشياءَ إلا في موضعِها، ويدبرون الأقوالَ والأحوالَ كلَّها بالعلمِ الشرعيِّ، ويقيمون الخلقِ مقامَهم، والحقِّ مقامَه، ويستروا ما ينبغي أن يسترَ، ويضعون الأمورَ كلَّها في مواضعِها بحضورِ عقلٍ، وصحةِ توحيدٍ،

وكمالِ معرفةٍ، ورعايةِ صدقٍ وإخلاصٍ في فضلٍ، واللهُ أعلمُ".

وقد اعتمدت هذه النسخة أصلًا تدور عليه بقية النسخ؛ إذ هي أقلها خطأ.

النسخة الثانية: والتي رمزت إليها بالحرف (ب)، وهي موجودة أيضًا بمكتبة الأزهر، وتقع في (١٧) ورقة، في كل ورقة (١٧ سطرًا)، وعلى غلافها: "هذه عقيدة لطيفة لشيخ الإسلام والمسلمين الإمام العالم العلامة الورع الصالح محمد شمس الدين الشّربينيّ الخطيب بالتمام والكمال، والحمد لله وحده".



وقد كتب عليه أيضًا: "وقف هذا الكتاب الشيخ مصطفى التجريجي على طلبة العلم بالجامع الأزهر، وشرطه ومقره كبقية كتبه، عامل الله من غير وبدل بعدله"، وعليه كذلك: "وقف وحبس وتصدق بهذه النسخة إلى الله تعالى الفقير محمد ابن الشيخ مصطفى ابن الشيخ يوسف التجريجي على ذرية أبيه، ثم بعد انقراضهم يكون على طلبة العلم بالجامع الأزهر وقفا صحيحا شرعيا، لا يباع ولا يوهب ولا يرهن، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سيمع عليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إذا كـنـتَ في حـاجـةٍ مـرسـلاً ... فـأرْسِـلْ حَـكِـيـمـًا، ولا تُـوصِـه.

وإنْ بـابُ أمـرٍ عـلـيـكَ الـتَـوَى ... فشـاوِرْ لـبـيـبـًا ولا تـعـصـه[1].

من كلام الزمخشري: طعم الآلاء أحلى من المن * وهو أمر من الآلاء عند المن[2].

وعلى بعض صفحاتها: (وقف لله تعالى بالأزهر بحارة البشبيشي).

وقد كتب على الصفحة الأولى منها: "بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخُ الإمام العالمُ العلامةُ الصالح الورع الشيخ محمدٌ شمسُ الدينِ الشّربينيّ الخطيبُ نفعنا به ورحمه آمين: فصل فيمَا يجبُ على المكلَّفِ اعتقادُه في حقِّ اللهِ ﷻ نصبِ الموازين، ووزنِ الأعمالِ، وإنصافِ المظلومِ...".

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، (ص٥١)، ت/ مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) تفسير الزمخشري (١/ ٣٣٩).

وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها: "واعلمْ: أنّ الصوفيةَ لا يضعون الأشياءَ إلا في موضعِها، ويدبرون الأوقات والأحوالَ كلَّها بالعلمِ الشرعيِّ، ويقيموا أمر الخلقِ مقامَهم، ويقيموا أمر الحقِّ مقامَه، ويستروا ما ينبغي أن يسترَ، ويظهروا ما ينبغي أن يظهر، ويأتوا بالأمور في موضعها بحضورِ عقلٍ، وصحةِ توحيدٍ، وكمالِ معرفةٍ، ورعايةِ صدقٍ وإخلاص، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم".

النسخة الثالثة: والتي رمزت إليها بالحرف (ج)، وهي التي بها صورة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة تحت رقم (٥٥٧)، بعنوان: (مقدمة في أصول الدين)، نسخت سنة تسعة عشر وألف من الهجرة، تقع في (١٣) ورقة، في كل ورقة (٢٣ سطرًا).

وعلى غلافها: "هذه مقدمة في أصول الدين لشيخ الإسلام ملك العلماء العلام بقية السلف الكرام سيدي محمد شمس الدين الشّربينيّ الخطيب نفعنا الله به آمين، ويوجد أيضًا عليه بعض الأبيات الشعرية، وهي:

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي ... بأن يدي تفنى ويبقى كتابها.

فإن عملت خيرا تجازى بمثله ... وإن عملت شرا علي حسابها.

فيا قارئ الخط الذي قد كتبته ... تفكر في يدي وما قد أصابها.

فإما نعيم في الجنان وروضة ... وإما جحيم لا يطاق عذابها[1].

وقد كتب على الصفحة الأولى منها: "بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، قال الشيخُ الإمام العالمُ العلامةُ الصالح الورع الشيخ محمدٌ شمسُ الدينِ الشّربينيّ الخطيبُ نفعنا الله به ورحمه آمين: فصل فيمَا يجبُ على المكلَّفِ اعتقادُه في حقِّ اللهِ ﷻ، وهو نصبِ الموازين، ووزنِ الأعمالِ، وإنصافِ المظلومِ...".

وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها: "واعلمْ: أنّ الصوفيةَ لا يضعون الأشياءَ إلا في موضعِها، ويدبرون الأوقات والأحوالَ كلَّها بالعلمِ الشرعيِّ، ويقيموا أمر الخلقِ مقامَهم، ويقيموا أمر الحقِّ

(١) لم أقف على قائل هذه الأبيات.

مقامَه، ويستروا ما ينبغي أن يسترَ، ويظهروا ما ينبغي أن يظهر، ويأتوا بالأمور في موضعها بحضورِ عقلٍ، وصحةِ توحيدٍ، وكمالِ معرفةٍ، ورعايةِ صدقٍ وإخلاص، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، نجزت في ضحوة سابع شوال سنة تسعة عشر وألف، وكتبها بيده الفانية أحمد الديربي، غفر الله له ولوالديه آمين".

على أن واحدة من هاتين النسختين لم تفت من فائدة.





المبحث الثالث

منهج التحقيق

اتبعت المنهج التالي في تحقيقي للنص الكامل لرسالة الخطيب الشربيني (عقيدة في التوحيد والتصوف):

أولاً: تم اعتماد النسخة (أ) كأصل للعمل، فبعد نسخها قوبلت على باقي النسخ الخطية، مع إثبات الفروق في الهامش، على أن النسخ التي استخدمتها في التحقيق متكافئة في الخطأ والصواب، والزيادة والنقصان.

فإذا اختلفت النسخ بالزيادة والنقصان وضعت الزائد في الصلب إن كانت فيه فائدة ما بين معقوفتين، ونبهت على ذلك في الهامش، وإلا وضعته في الهامش مع التنبيه أيضًا.

ثانيًا: أخرجت النص سليمًا بعيدًا عن التحريف والخلل، واستخدمت في ذلك الرسم الإملائي الحديث، وأعدت الهمزة التي سُهلت، واستخدمت نظام الفقرات، بحيث يريح القارئ من عناء العبارة، مع شكل الكتاب شكلًا يزيد الجملة بهاء ووضوحًا وبيانًا.

ثالثًا: وضعت عناوين لبعض الفقرات بعبارة وجيزة تلخص فكرها بين قوسين هكذا (...)؛ حتى يتسر للقارئ متابعتها.

رابعًا: علقت على بعض النصوص التي تحتاج إلى توضيح أو شرح أو تقريب، مع ذكر بعض معاني الكلمات والألفاظ الغامضة، مستعينًا بمعاجم اللغة وكتب السادة الصوفية.

خامسًا: أشرت إلى نظائر آراء الخطيب الشّربينيّ من تراث غيره ممن يتفق معه في رأيه.

سادسًا: نبهت على بداية كل لوحة ورقمها من النسخ التي اعتمدت عليها.

سابعًا: قمت بتخريج الآيات القرآنية ذاكرًا اسم السورة ورقم الآية، كما خرجت الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب من كتب الأحاديث المعتمدة تخريجًا متوسطًا بلا تطويل أو إسهاب، وإذا لم أجد الحديث فيها نبهت على ذلك في الهامش.

ثامنًا: اكتفيت بذكر اسم المرجع مختصرًا، ورقم الجزء والصفحة، أما باقي بيانات الكتاب فقد ذكرتها في فهرس المراجع؛ اختصارًا وتجنبًا للحشو والتطويل.

والله أسأل أن يوفقني لما يحب ويرضى...

المبحث الرابع

نماذج من لوحات المخطوطة

صورة الصفحة الأولى (أ)
من النسخة (أ)

صورة الصفحة الأولى (ب)
من النسخة(أ)





صورة الصفحة الأولى(أ)
من النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام العالم العلامه الصالح الورع الشيخ
محمد شمس الدين الشربيني الخطيب نفعنا به ورحمه
آمين فصـــل فيما يجب على المكلف اعتقاده في
حق الله تعالى نصب الموازين ووزن الاعمال
وانصاف المظلوم وبعث الرسل وضمان الرزق
ويعذب الطايع بعدله ويرحم العاصي بفضله
ولا ينسب الى ظلم ولا جور ولا عدوان واما
الواجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام
الصدق والعصمة وتبليغ الرسالة واداء الامانة
والوحي والاسما والمعجزات واما المستحيل في حقهم
الكذب والخيانة والجهل والمعاصي والازدرا
ومنع الوحي وعدم تبليغ الرسالة وكتمان شي
امروا بتبليغه ويجوز في حقهم ما يجوز في حق
البشر من الاوصاف البشرية التي لا تقدح في
مراتبهم العلية ماكل ومشرب وملبس ومنكح
ومرقد ومركب ونوم ويقظة ومرض وصحة
وبعث

صورة الصفحة الأولى (ب)
من النسخة (ب)

وبعث وموت وحياة ونشور والله اعلم ويجب
عليك يا ولدي معرفة الله والملائكة والرسل
والكتب والاوليا والدنيا والنفس والشيطان
والازل فاما معرفة الله تعالى ففريضة على كل
مسلم ومسلمة ومن لا يعرف الله في الدنيا لم يعرفه
في الآخرة ولا يراه ولا يشاهده في الجنة اتفق
الايمة المحققون على ذلك واما معرفته بالا زل
والقدرة والفضل والعلم والاحاطة والصفة
والتنزه والانفراد والبقا والكمال والعدل
ونبي ارسل وكتاب انزل ونقض العزايم وانه
تعالى حاضر ناظر موجود في كل مكان بقدرته
وعلمه لا من شي ولا في شي ولا على شي فلو كان
من شي لكان مخلوقا ولو كان في شي لكان محصورا
ولو كان على شي لكان محمولا لقوله تعالى قل اي شي
اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ليس كمثله
شي وهو السميع البصير وكل ما خطر ببالك فالله
بخلاف ذلك واما معرفة الملائكة التصديق



صورة الصفحة الأخيرة (أ) من النسخة (ب)

الجوارح في خدمة الله تعالى واما الفضا ازالة
الاثراب من القلب وصفا السر لعلام الغيوب
واما الذوق فهم المعجم والمشكلات وجولان العقل
في معرفة الذات والصفات وهو سر لطيف نشأ
عن العقل وهو باب العقل واما الشوق هيمان
القلب عند ذكر المحبوب وهو سر لطيف نشأ من
المحبة فمن ذلك من ذاق اشتاق وترك السوء
وراقب الملك الخلاق ومن لايكون عنده ذوق
ولاشوق فهو جماد لايفهم ولا يعقل واما الاخلا ص
اخلاص العمل بالنية واما علامات الاخلاص
ان لاترى الاخلاص اخلاصا واما حقيقة الاخلاص
عدم مشاهدة الاخلاص واما اليقين فهو الذي لا
يزلزله الشك وهو عدم ازاغة القلب عن الحق
عند نزول الاقدار فصل في بيان معاني الفقير
الفقير من كان مع ربه صادقا وجمع بين الشرع
والحقايق الفقير من عرف الغني وافتقر اليه
وكان متادبا بين يديه الفقير هو الذي لايجول

صورة الصفحة الأخيرة (ب) من النسخة (ب)

في قلبه غير الحق الفقير من اشتغل بالحق وافنى نفسه
في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في نهيه وامره
الفقير هو الذي دع كلامه وقل اثره وخدامه
الفقير من لايطالب بدمه ولا بعرضه ولا بماله
الفقير ما قال انا فقير الا بعد خروجه من نفسه
قولا وفعلا وطبعا والدعوى ماتاتي الا بوجود
النفس فالفقير مثل الميت مع الخلق وسئل بعضهم
بما يعرف الزاهد في الدنيا من غيره فقال تعرفه
انه لايفرح لها اذا اقبلت ولايحزن عليها اذا ادبرت
فهذا ميزان تزن به الزاهد من غيره واعلم ان
الصوفية لايضعون الاشيا الا في موضعها
ويديرون الاوقات والاحوال كلها بالعلم الشرعي
ويقيموا امر الخلق مقامهم ويقيموا امر الحق مقامه
ويستروا ما ينبغي ان يستر ويظهروا ما ينبغي ان
يظهر ويأتوا بالامور في موضعها بحضور عقل
وصحة توحيد وكمال المعرفة ورعاية صدق واخلاص
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم



صورة الصفحة الأولى (أ)
من النسخة (ج)



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق
قال الشيخ الامام العالم العلامة المصلح الورع
الشيخ محمد شمس الدين الشربيني الخطيب نفعنا الله
به ورحمه امين فصل فيما يجب على المكلف
اعتقاده في حق الله تعالى نصب الموازين ووزن
الاعمال وانصاف المظلوم وبعث الرسل وضمان الرزق
وان يعذب الطايع بعدله ويرحم العاصي بفضله
ولا ينسب الي جور ظلم ولا جور ولا عد وان
واما الواجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام
الصدق والعصمة وتبليغ الرسالة وادا الامانة والوحي
والاسما والمعجزات واما المستحيل في حقهم الكذب
والخيانة والجهل والمعاصي والازدرا ومنع الوحي
وعدم تبليغ الرسالة وكتمان شي امروا بتبليغه
ويجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر من ماكل ومشرب
وملبس ومنكح ومرقد ومركب وغم ونقطة
ومرض وصحة وبعث وموت وحياة ونشور والله
اعلم ويجب عليك يا ولدي معرفة الله والملايكة
والرسل والكتب والاوليا والملك والدنيا والنفس
والشيطان والازل فاما معرفة الله تعالى ففريضة
علي كل مسلم ومسلمة ومن لم يعرف الله في الدنيا
لم يعرفه في الاخرة ولا يراه ولا يشاهده في
الجنة اتفق الايمة المحققون علي ذلك واما
معرفته بالازل والقدرة والفضل والعلم والاحاطة

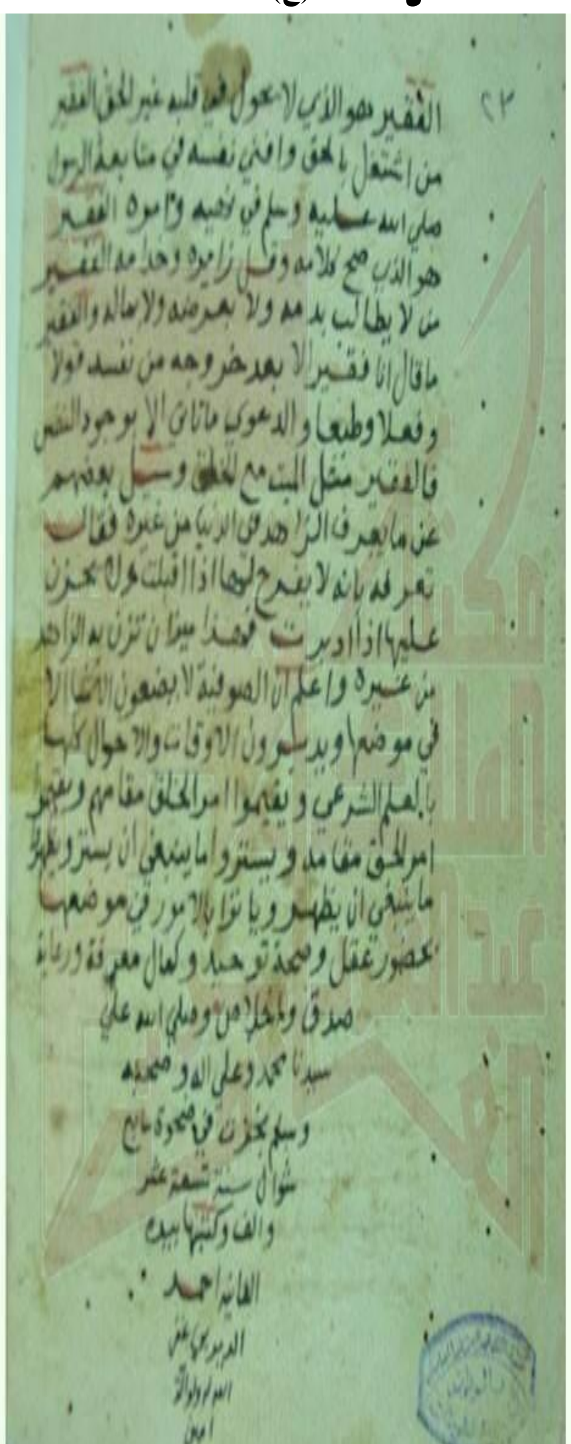
صورة الصفحة الأولى (ب)
من النسخة (ج)



والصفة والتنزه والانفراد والبقا والكمال والعدل
وبني ارسل وكتاب انزل ونقض العزايم وانه
تعالي حاضر ناظر موجود في كل مكان بقدرته
وعلمه لا من شي ولا في شي فلو كان من شي لكان
مخلوقا ولو كان في شي لكان محصورا ولو كان على
شي لكان محمولا لقوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة
قل الله شهيد بيني وبينكم ليس كمثله شي وهو
السميع البصير وكلما خطر ببالك فالله بخلاف
ذلك واما معرفة الملايكة التصديق بانهم
ارواح روحانية لطايف نورانية جواهر بسيطة
عقلية فعالهم صور مجردة املاك روحانية
محيطة بالاجسام الجسمانية لا يتصفون بذكورة
ولا انوثة ولهم عقل بلا شهوة ونور بلا
ظلمة وشبح بلا اجسام وصفا بلا كدر وحفظ
بلا اهمال وطاعة بلا معصية وتسبيح وتهاليل
وتكبير وتقديس وتحميد بلا غفلة في عبادتهم
مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
واما معرفة الكتب ان تومن بالماية صحيفة والكتب
المنزلة التوراة والانجيل والزبور والفرقان وان
الفرقان نسخ جميع الكتب لقوله تعالى ما فرطنا في
الكتاب من شي وهو تحذير وترغيب وتنذير
وترهيب وهو افضل الكتب وانه كتاب عزيز



صورة الصفحة الأخيرة
من النسخة (ج)



٤٢
الفقير هو الذي لا تعول [illegible] قلبه غير الحق الفقير
من اشتغل بالحق وافنى نفسه في متابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم في نهيه وأمره الفقير
هو الذي صح كلامه وقل زاميره وحاله الفقير
من لا يطالب بدمه ولا بعرضه ولا بماله والفقير
ما قال انا فقير إلا بعد خروجه من نفسه قولا
وفعلا وطبعا والدعوى ما تاتي إلا بوجود النفس
فالفقير مثل الميت مع الخلق وسئل بعضهم
عن ما يعرف الزاهد في الدنيا من غيره فقال
تعرفه بانه لا يفرح بها اذا اقبلت ولا يحزن
عليها اذا ادبرت فهذا ميزان تزن به الزاهد
من غيره واعلم ان الصوفية لا يضعون الاشيا الا
في موضعها ويدبرون الاوقات والاحوال كلها
بالعلم الشرعي ويقيموا امر الخلق مقامهم ويقيموا
امر الحق مقامه ويستروا ما ينبغي ان يستر ويظهروا
ما ينبغي ان يظهر ويأتوا بالامور في موضعها
بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية
صدق واخلاص وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تحررت في [illegible] سابع
شوال سنة تسعة عشر
والف وكتبها بيده
الفاني احمد
الدردير [illegible]
الله له ولوالديه
امين

الفصل الثاني: النّص المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم، [وبه ثقتي] (١)

قال الشـيخُ [الإمامُ] (٢) العالمُ العلامةُ [الصـالحُ الورعُ الشـيخُ] (٣) شـمسُ الدينِ محمدٌ الخطيبُ الشّـربينيّ رحمه اللهُ ﷻ(٤): الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصـلَّى اللهُ على سـيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم أجمعين، وبعد...

(فصلٌ فيما يجب على المكلَّفِ اعتقادُه)

[فهذه رسالةٌ لطيفةٌ تتعلقُ](٥) بمَا يجـبُ على المكلَّفِ (٦) اعتقادُه في حقِّ الله ﷻ(٧)، وبعثِ الرسلِ، ونصـبِ الموازين، ووزنِ الأعمالِ(٨)-، وإنصافِ المظلومِ(٩)، وضمانِ الرزقِ(١٠)، وأن يعذبَ(١١) الطائعَ بعدلِه، ويرحمَ العاصيَ بفضلِه(١٢)، ولا ينسبُ إلى ظلمٍ ولا جورٍ ولا عدوان.

---

(١) في أ، ب: بدون (وبه ثقتي)، زدناه من ج.

(٢) أ: بدون (الإمام).

(٣) أ: بدون (الصالح الورع الشيخ)، ويحتمل أن تكون ألفاظ المدح والثناء على المؤلف من عمل النساخ.

(٤) ب: محمد شمس الدين الشربيني الخطيب، نفعنا به ورحمه آمين.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في: ب، ج.

(٦) المكلَّف: هو البالغ، العاقل، سليم الحواس، الذي بلغته الدعوة. (ينظر: تحفة المريد صـ ٦٧).

(٧) ب: فصل فيما يجب على المكلف اعتقاده في حق الله ﷻ.

(٨) ينظر: (ص٣٦٩.) من هذا البحث.

(٩) ب، ج: نصب الموازين، ووزن الأعمال، وإنصاف المظلوم، وبعث الرسل.

(١٠) الرزق عند أهل السنة: ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به بالفعل، وعليه فكل أحدٍ يستوفي رزقه، ولا يأكل أحدٌ رزق غيره، ولا يأكل غيره رزقه، وعند المعتزلة ليس الرزق ما انتفع به، بل هو ما ملكه، ويلزم على مذهبهم أن الشخص قد لا يستوفي رزقه، وأنه قد يأكل رزق غيره، ويأكل غيره رزقه، وهو رأي فاسد؛ لأن الله مالك لجميع الأشياء، ولا يسمى ملكه رزقا. (ينظر: المواقف (٣/ ٢٤٣)، تحفة المريد (صـ ٣١٢)، شرح الأصول الخمسة (٧٨٤ وما بعدها)، والحقيقة أن المعنيين للرزق واردان، فإن فسر بالملك كان الحرام ليس برزق، وكان للإنسان أن يأكل رزق غيره، وإن فسر بما ينتفع به كان الحرام رزقًا، وما كان لأحد أن يأكل رزق الآخر، وعلى هذا فلا خلاف. (التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي (ص٩٦).

(١١) ب: ويعذب.

(١٢) العدل: وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل، الفضل: هو الإعطاء عن اختيار كامل لا عن

فأولُ واجبٍ على الإنسانِ معرفةُ [١] الله ﷻ [٢]، والملائكةِ[٣]، والكتبِ، والرسلِ، والأولياءِ[٤]، والإمامِ[٥]، والملكِ، والدنيا[٦]، والشيطانِ[٧]، والنفسِ[٨]، والدينِ[٩][١٠].



إيجاب كما قالت الفلاسفة، ولا عن وجوب كما قالت المعتزلة، والكلام في مجرد حكم العقل، فكل ما صدر من الله ﷻ فضل وعدل في ملكه، فالطاعة لا توجب عليه ﷻ الثواب، والمعصية كذلك لا توجب عليه ﷻ العقاب، خلافًا للمعتزلة. (ينظر: شرح المقاصد (٢/ ٢٢٥)، إتحاف المريد (ص ١٥٥-١٥٦)، تحفة المريد (صـ١٧٩-١٨٠)، شرح الأصول الخمسة (ص٦١١ وما بعدها).

(١) المعرفة: هي الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، هذا والمقصود أن يعرف المكلف ما يتعلق بالله ﷻ من أحكام وصفات، وليس المقصود معرفة ذاته ﷻ، أو معرفة كُنهها؛ إذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته إلا هو ﷻ، فقد قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ طه: ١١٠ (ينظر: تحفة المريد (صـ ٧١)، التعريفات (ص٢٢١).

(٢) أ: والأزل.

(٣) ينظر: (صـ ٣٦٤ وما بعدها) من هذا البحث.

(٤) الأولياء: جمع ولي، والولي في اصطلاح المتكلمين هو العارف بالله ﷻ وصفاته حسب الإمكان، المواظب على الطاعات، المجتنب للمخالفات، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، أما عند الصوفية فيحتمل أمرين: أحدهما: أَن يَكُون فعيلًا مبالغة من الفاعل، ويكون معناه: من توالت طاعته من غَيْر تخلل معصية، والثاني: أَن يَكُون فعيلًا بمعنى مفعول، وَهُوَ الَّذِي يتولى الحق ﷻ حفظه وحراسته عَلَى الإدامة والتوالي فيديم توفيقه، ولا يخلق لَهُ الخذلان. (ينظر: الرسالة القشيرية (٢/ ٥٢٣)، شرح المقاصد (٢/ ٢٠٣).

(٥) الإمام: هو الذي له الرئاسة العامة في الدين والدنيا جميعًا. (التعريفات (ص٣٥).

(٦) الدنيا: ما شغلك عن الله ﷻ، وقد قيل: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له. (ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص٩٨)، التعريفات (ص٩٤).

(٧) الشيطان: مأخوذ من شطن شطونًا، أي: بعد بعدًا، وسمّي الشيطان شيطانًا؛ لبعده من الله تعالى، وقيل: مأخوذ من شاط شيطًا، أي: هلك هلاكًا، والشيطان نار غير صافية ممتزجة بظلمات الكفر تجري من ابن آدم مجرى الدّم. (ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، (١/ ١٨٠٥).

(٨) النفس: هي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية. (التعريفات (ص٢٤٢)، والمقصود بالنفس عند الصوفية: ما كان معلولًا من أوصاف العبد، ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله. (الرسالة (١/ ٢٠٢)، وليس المقصود بها الذات الإنسانية، وما دام الأمر كذلك فالنفس دائما موضع اتهام، فتجب مجاهدتها، وعدم الثقة بكل ما يصدر منها. (ينظر: الدعوى والشطح عند الصوفية (ص٤).

(٩) الدين: الأحكام التي شرعها الله ﷻ على لسان نبي من أنبيائه. (القول السديد (٢/ ١٦٧).

(١٠) ب، ج: ويجب عليك ـ يا ولدي ـ معرفة الله، والملائكة، والرسل، والكتب، والأولياء، والدنيا، والنفس، والشيطان، والأزل.

(معرفةُ اللهِ ﷻ)

فأمَّا **معرفةُ الله** ﷻ فواجبةٌ [١] على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ [٢]، ومَن لا يعرفْ اللهَ ﷻ في الدنيا لَمْ يعرفْه في الآخرةِ، ولا يراهُ ولا يشاهدُه [في الجنةِ] [٣].

اتفقَ [٤] [الأئمةُ][٥] المحقّقون [٦] على ذلك[٧].



(١) ب، ج: ففريضة.

(٢) لا خلاف بين المسلمين في وجوب معرفة الله ﷻ، ولا في وجوب النظر الموصّل إليها بقدر الطاقة البشرية؛ وإنما الخلاف في الأولية فقط دون الوجوب. (ينظر: إتحاف المريد (ص٤٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٤) أ: واتفق.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٦) قول الخطيب: (المحققون) مأخوذ من التحقيق، وهو إثبات الشيء بالدليل، أو على الوجه الحق المطابق للواقع. (ينظر: التعريفات (١/ ٥٣)، إتحاف المريد (ص٣٩).

(٧) ويدل على ذلك: قوله ﷻ: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾الإسراء: ٧٢

وأمَّا [معرفتُه بالأزلِ][١] ، والقدرةِ، والفضلِ، والعلمِ، والإحاطةِ، والصفةِ[٢]، والتنزهِ[٣]، والانفرادِ، والبقاءِ[٤]، والكمالِ، والعدلِ، ونبيٍّ أَرسل، وكتابٍ أَنزل، ونقضِ العزائمِ، وأنَّه ﷻ حاضرٌ ناظرٌ موجودٌ في كلِّ مكانٍ بقدرتِه وعلمِه[٥]، لا من شيءٍ، ولا في شيءٍ، ولا على شيءٍ: فلو كان من شيءٍ لكان مخلوقًا، ولو كان في شيءٍ لكان محصورًا، ولو كان على شيءٍ لكان



---

(١) أ: معرفة الأزل. الأزل: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، والأزلي: ما لا يكون مسبوقًا بالعدم، قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ الحديد: ٣، وهو الله ﷻ، ولا يتسمى بالأزل إلا الله ﷻ، فهو الله القديم الذي لم يزل ولا يزال. (ينظر: التعريفات (ص١٧)، معجم مصطلحات الصوفية (ص ١٥).

(٢) بداية ل ٢/ ب في ج. الصفة هي المعنى الوجودي القائم بالموصوف، أو كل ما ليس بذات وجوديًا كان أو عدميًا، فكل الصفات النفسية والمعاني والمعنوية داخلة في التعريف الوجودي، والتعريف العدمي يدخل الصفات السلبية.

هذا، وصفات الله ﷻ وكمالاته لا نهاية لها، فيجب على المكلف أن يعلم بأن الله متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، ولكن بعض هذه الكمالات قد قامت الأدلة العقلية والنقلية عليها تفصيلا، وهم عشرون صفة، قسمها العلماء إلى أربعة أقسام:

الأول: صفة نفسية: هي صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، وسميت بذلك؛ لأن الذات لا تعقل إلا بها، وهي صفة الوجود.

الثاني: صفات سلبية "تنزيهية": وهي التي مدلولها عدم أمر لا يليق بذاته ﷻ، وهي خمس: القدم، البقاء، القيام بالنفس، المخالفة للحوادث، الوحدانية.

الثالث: صفات معانٍ: وهي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكما، وهي سبع صفات: القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، الكلام.

الرابع: صفات معنوية: وهي الأحكام التي تترتب على ثبوت صفات المعاني، وهي سبع: كونه قادرًا، مريدًا، عالمًا، حيًّا، سميعًا، بصيرًا، متكلمًا، وهذا التقسيم بناء على القول بثبوت الحال، أما من نفى الحال فقد جعلها ثلاثة أقسام فقط: نفسية وسلبية ومعانٍ، ونفى المعنوية. (ينظر: إتحاف المريد (ص٦٩ وما بعدها)، مباحث في علم التوحيد (الإلهيات)، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، (ص٥٨).

(٣) التنزه: عبارة عن تبعيد الله عن أوصاف البشر. (التعريفات (ص٦٧).

(٤) البقاء: امتناع لحوق العدم لوجوده ﷻ. (إتحاف المريد (ص٧٧).

(٥) قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد: ٤، يعني: بقدرته وسلطانه وعلمه...، يبصر أعمالنا ويراها، ولا يخفى عليه شيء منها. (ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣٧).

محمولًا[1]؛ لقولِه ﷻ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[2]، ليس كمثلِه شيءٌ، وهو السميعُ والبصيرُ[3]، [وكلُّ ما] [4] خطرَ ببالِك فاللهُ بخلافِ ذلك.

(معرفةُ الملائكةِ والكتبِ)

وأمَّا **معرفةُ الملائكةِ**[5] التصديقُ بأنَّهم[6] أرواحٌ روحانيةٌ، لطائف نورانيةٌ[7]، جواهرُ بسيطةٌ



(١) وذلك كله محال عليه ﷻ؛ فالله ﷻ منزه عن المكان والجهة والتغير والحدوث والاحتياج ونحو ذلك مما يتنافى مع مقتضيات ألوهيته ﷻ. (ذكر هذا القول القشيري في رسالته (١/ ٢٩)، والحافظ ابن السبكي في طبقات الشافعية (٩/ ٤٢(منسوبًا لسيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه.

(٢) قد تعرض الخطيب الشربيني في تفسيره لمسألة إطلاق لفظ الشيء على الله ﷻ من عدمه، وبيّن اختلاف العلماء حولها، فذكر أن بعض العلماء قد احتجوا بقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١ وقالوا: لو كان ﷻ شيئًا فهو ﷻ مثل مثل نفسه، فكان يكذب قوله ﷻ: {ليس كمثله شيء}، فوجب ألا يكون شيئًا حتى لا يناقض هذه الآية. ثم قال: واحتج أصحابنا بوجهين؛ أي: على جواز إطلاق هذا اللفظ على الله ﷻ: الأوّل: قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ١٩، والثاني: قوله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨، الاستدلال بهذه الآية للمطلوب ينبني على أن الاستثناء فيها متصل؛ فإنه يقتضي اندراج المستثنى في المستثنى منه، وهو الراجح، على أن لفظ شيء يطلق على الله ﷻ، وهو الراجح أيضًا. (ينظر: السراج المنير (١/ ٣١) فتح الباري (١٣/ ٤٠٢).

(٣) قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١

(٤) أ، ج: وكلما.

(٥) معرفة الملائكة: أي: التصديق بهم والإيمان بوجودهم، ويكفي الإيمان فيما يعتبر التكليف به إجمالًا، كالإيمان بغالبهم، ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلًا، أي: على الوجه الذي جاء تفصيله في القرآن والسنة الصحيحة، كأن يؤمن بمن ذكروا بأسمائهم، أو بأوصافهم، أو بوظائفهم. (ينظر: تحفة المريد (صـ ٩٢)، علاقة الإنسان بالملك والشيطان (ص٧).

(٦) بداية ل ٣/ أ في ب.

(٧) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم». أي: من طين. (صحيح مسلم، ك: الزهد والرقائق، ب/ في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦)، (٤/ ٢٩٩٦).



عقليةٌ، فعالُهم صورٌ مجردةٌ، أملاكٌ [١] روحانيةٌ، محيطةٌ بالأجسامِ الجسمانيّةِ[٢]، لا يتَّصفون بذكورةٍ ولا أنوثةٍ[٣]، ولهم[٤] عقلٌ بلا شهوةٍ[٥]، ونورٌ بلا ظلمةٍ، وشبحٌ[٦] بلا أجسامٍ[٧]، وصفاءٌ بلا كدرٍ[٨]، وحفظٌ بلا إهمالٍ[٩]، وطاعةٌ بلا معصيةٍ، وتسبيحٌ وتهليلٌ وتكبيرٌ وتقديسٌ وتحميدٌ بلا غفلةٍ[١٠]، في عبادتِهم مكرَمون، لا يعصون اللهَ ما أمرَهم، ويفعلون ما يُؤمرون، يسبحون [اللهَ][١١] الليلَ والنهارَ لا يَفتُرون[١٢].

وأمَّا **معرفةُ الكتبِ** أن تؤمنَ بالمائةِ صحيفة، والكتبِ المنزلةِ: التوراةِ والإنجيلِ والزبورِ

---

(١) بداية ل ٢/ ب في أ.

(٢) ج: الجثمانية. والجثمان هو الجسمان، يقال: ما أحسن جثمان الرجل وجسمانه أي جسده. (لسان العرب مادة (جثم).

(٣) الملائكة من عالم آخر، قائم بذاته، ومستقل بنفسه، لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ولا خنوثة، فمن وصفهم بذكورة فقد فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر؛ لمعارضته قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾الزخرف: ١٩ (ينظر: القول السديد (٣/ ١٤٤-١٤٥)، مباحث في علم التوحيد (السمعيات ص٩).

(٤) ب: وإنهم.

(٥) وذلك بخلاف الإنسان؛ فقد رُكب تركيبًا بين الملَك والبهيمة، فبعقله له حظ من الملائكة، وبطبيعته له حظ من البهيمة، ثم أن من غلب طبيعته عقله فهو شر من البهائم...، وذلك يقتضي أن يكون من غلب عقله طبيعته خيرًا من الملائكة. (ينظر: المواقف (٣/ ٤٥٤).

(٦) الشبَح: ما بدا لك شخصه غير جليٍّ من بُعد، ويسكن الباء. (معجم اللغة العربية مادة (شبح).

(٧) الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والعمق). (ينظر: التعريفات (ص٧٦).

(٨) الكدر: ضد الصفو، ومنه قولهم: "خذ ما صفا، ودع ما كدر". (تاج العروس مادة (كدر).

(٩) قال ﷻ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ **الرعد: ١١**

(١٠) قال ﷻ على لسان الملائكة: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾البقرة: ٣٠، وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ غافر: ٧

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ، ج)، زدناه من (ب).

(١٢) قال ﷻ: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ **الأنبياء: ٢٦**، وقال: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ **التحريم: ٦**، وقال: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ **الأنبياء: ٢٠**

والفرقانِ[1].

وأنَّ الفرقانَ نسَخَ [2] جميعَ الكتبِ؛ لقولِه ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[3]، وهو تحذيرٌ وترغيبٌ وتنذيرٌ وترهيبٌ[4]، وهو أفضلُ الكتبِ، وأنَّه لكتابٌ[5] عزيزٌ، لا [6] يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ[7]، وأنَّه كلامُ الله ﷻالقديمُ، ليس بمخلوقٍ ولا



---

(١) سأل أبو ذر النبيّ ﷺ عن عدد الكتب المنزلة من عند الله ﷻ، فقال ﷺ: "مائة كتاب، وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن". (صحيح ابن حبان، رقم (٣٦١)، (٢/ ٧٦)، والظاهر أن هذه الصحف كانت مُشتمِلة على مواعظ وإرشادات إلى التَّحلِّي بِمَكارِمِ الأخلاق والتَّخلِّي عن مساوئها، ولم يُعرف عنها شيء يقينًا؛ لعدم وجود ما يُفيد يقينًا بشأنها، ولكن الواجب علينا إجمالاً الإيمان بجميع الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء، أما تفصيلاً فالواجب علينا الإيمان بما ورد ذكره في القرآن الكريم، وهي صحف إبراهيم، والتوراة التي نزلت على موسى، والزبور الذي نزل على داود، والإنجيل الذي نزل على عيسى، والقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، هذا ويقال للقرآن: فرقان باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات، وهذان الاسمان هما أشهر أسماء النظم الكريم. (ينظر: بحر الكلام للنسفي، (ص٢٣٧)، القول السديد (٣/ ٢٦)، مناهل العرفان (١/ ١٧).

(٢) النّسخ في اللغة: يطلق على معنيين: الأوَّل: الإزالة والإبطال، قال ﷻ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ البقرة:١٠٦، والثَّاني: النَّقل والتحويل، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الجاثية ٢٩. (ينظر: لسان العرب، مادة (نسخ)، أما في الاصطلاح فهو عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق. (الإحكام في أصول الأحكام، (٣/ ١٠٧).

(٣) الأنعام: ٣٨، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٨ قال الرازي: "إنما كان القرآن مهيمنًا على الكتب؛ لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخا ألبتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف...". (ينظر: تفسير الرازي (١٢/ ٣٧١).

(٤) كقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٦٥

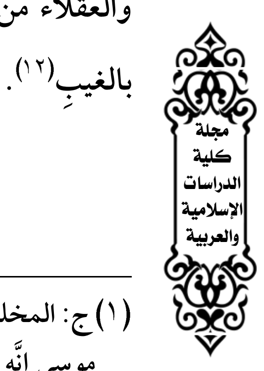
(٥) ب: كتاب.

(٦) بداية ل ٣/ أ في ج.

(٧) قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ **فصلت: ٤١-٤٢**



صفةٍ لمخلوقٍ(١)، وهو المكتوبُ في مصاحفنا(٢)، المتلوّ(٣) بألسنتِنا، المحفوظُ(٤) في صدورِنا، وهو كلامُه القديمُ(٥)، أنزلَه على [قلبِ](٦) نبيِّه محمد(٧) ﷺ، وأنَّه تواترتْ (٨) عليه الأخبارُ أنَّه(٩) كلامُ [الله](١٠) الملكِ الجبارِ، فإذا تلوتَه ازددتَ فيه حلاوةً ورغبةً، ولو اجتمعتْ الفصحاءُ والعقلاءُ من الإنسِ والجنِّ على أن يأتوا بمثلِه أو سورةٍ أو آيةٍ فلا يستطيعون(١١)، وأنَّه يخبرُ بالغيبِ(١٢).



(١) ج: المخلوق. بيان ذلك: أنه لو كان كلام الله ﷻ مخلوقًا في غيره لكان ذلك الغير إلهًا آمرًا ناهيًا، قائلًا: "يا موسى إنَّه أنا الله العزيز الحكيم"، ولكان الله محتاجًا في خلقه إلى ذلك الغير، واللازم باطل فالملزوم مثله، ودليل بطلان اللازم: أنّه فيه ما فيه من نسبة النَّقص والضّعف والحاجة والعجز إلى الله، ولكن قد ثبت أنَّ الله غنيٌّ عن كلّ ما سواه، ولو كان كلام الله مخلوقًا لكان من جنس كلام المخلوقين، لكنّ اللازم باطل، ودليل بطلانه: قوله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ... ﴾الإسراء: ٨٨ (ينظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص٦٨-٦٩)، تمهيد الأوائل، (٢٦٩ وما بعدها).

(٢) أ: صحائفِنا.

(٣) ب، ج: والمتلو.

(٤) ب، ج: والمحفوظ.

(٥) أي: هذا المكتوبُ في مصاحفِنا، المتلوّ بألسنتِنا، المحفوظُ في صدورِنا، يعبر عن كلام الله النفسي القديم القائم بذاته ﷻ.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٧) بداية ل ٣/ ب في ب.

(٨) أ: تواتر.

(٩) ب، ج: وإنه.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(١١) قال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾الإسراء: ٨٨

(١٢) كأن الخطيب يرى أن وجه إعجاز القرآن الكريم يتمثل في كونه في الطبقة العليا من البلاغة والفصاحة، وفي كونه أخبر عن المغيبات؛ حيث قد انفرد القرآن بالإخبار عن أمور غيبية لم تكن قد وقعت حين نزوله، كإخباره بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين. (ينظر: القول السديد (٣/ ٤٨)، إطلالة على دلائل النبوة (ص ١٥٨ وما بعدها).

وجميعُ[1] المحدَثاتِ[2] إذا تكلمت[3] كلامُهم منفصلٌ منهم، وكلامُ الله ﷻ صفةٌ من صفاتِه، قائمٌ بذاتِه، لا منفصِل عنه، ولا عائدٌ إليه، لا يحلُّ في المحدَثاتِ، ولا يجانسُ المخلوقاتِ، ولا يُوصفُ بالحروفِ والأصواتِ[4]، تنزَّهتْ صفاتُ ربِّنا عن [ما في] [5] الأرضِ والسماواتِ، فثبت بذلك أنَّه كلامُه القديمُ، وحبلُه المتينُ، [وصراطُه المستقيمُ][6] ، لا يَنفدُ ولا يبيدُ[7].

(معرفةُ الرسلِ والأولياءِ)

وأمَّا [8] **معرفةُ الرسلِ** عليهم الصلاة والسلام [التصديقُ] [9] بأنَّ اللهَ ﷻ بعثَهم وخصَّهم وفضلَّهم وآتاهم النبوةَ، وأيدَّهم بالمعجزاتِ الخارقاتِ[10] للعاداتِ، والصدقِ[11]، والعصمةِ،

(١) ب، ج: وأن جميع.

(٢) المحدثات: جمع محدَث، وهو ما كان مسبوقًا بالعدم. (التعريفات (ص٨١، ١٧٢).

(٣) أ: تكلموا.

(٤) خلافًا للمعتزلة ومن تبعهم القائلين بأن كلام الله ﷻ فعل من أفعاله، يخلقه في جرم من الأجرام، مكون من حروف وأصوات، وخلافًا أيضًا لبعض الحنابلة والحشوية الذين ذهبوا إلى أنّ كلام الله حروف وأصوات قديمة. (ينظر: المواقف (٣/ ١٢٨)، شرح المقاصد (٢/ ٩٩)، شرح الأصول الخمسة، (ص ٥٣١ وما بعدها).

(٥) أ: غرض في.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

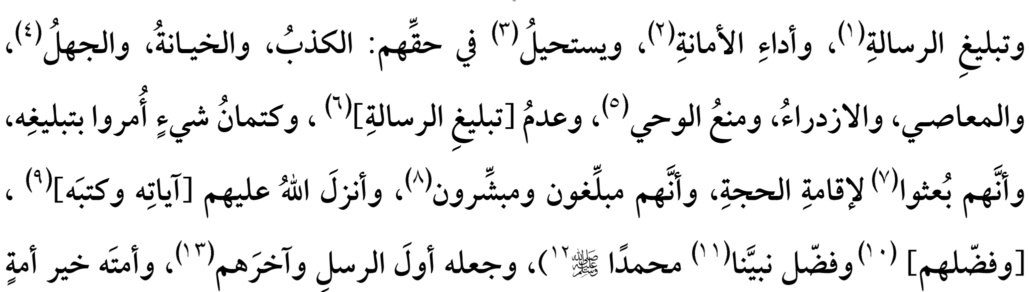
(٧) فالقرآن ليس بمخلوق فيبيد أي: فيزول، ولا صفة لمخلوق فينفد أي: فينتهي. وقد تقدم الحديث في هذا البحث عن صفة الكلام ينظر: (صـ ٣٣٧ وما بعدها)، وينظر: حاشية علي بن أحمد العدوي على كفاية الطالب الرباني (١/ ٨٢).

(٨) بداية ل ٣/ أ في أ.

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب). المراد بالتصديق الإذعان لما جاؤوا به والقبول له، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليهم في القلب من غير إذعان وقبول له حتى لا يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتهم ورسالتهم عليهم السلام. (ينظر: إتحاف المريد (ص ٥٢-٥٣)، تحفة المريد (صـ ٩١).

(١٠) أ: الخارقة.

(١١) الصدق: هو مطابقة حكم الخبر للواقع، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾النجم: ٣ ، وقوله: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ الأحزاب: ٢٢ . (ينظر: القول السديد (٢/ ١٧٢)، شرح الخريدة (ص ٢-٥٧).



وتبليغِ الرسالةِ(١)، وأداءِ الأمانةِ(٢)، ويستحيلُ(٣) في حقِّهم: الكذبُ، والخيانةُ، والجهلُ(٤)، والمعاصي، والازدراءُ، ومنعُ الوحي(٥)، وعدمُ [تبليغِ الرسالةِ](٦) ، وكتمانُ شيءٍ أُمروا بتبليغِه، وأنَّهم بُعثوا(٧) لإقامةِ الحجةِ، وأنَّهم مبلِّغون ومبشِّرون(٨)، وأنزلَ اللهُ عليهم [آياتِه وكتبَه](٩) ، [وفضّلهم] (١٠) وفضّل نبيَّنا(١١) محمدًا ﷺ(١٢)، وجعله أولَ الرسلِ وآخرَهم(١٣)، وأمتَه خير أمةٍ



(١) التبليغ: إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ المائدة: ٦٧. (ينظر: شرح الخريدة ٢/ ٧٤).

(٢) ب: زيادة: والوحي والأسماء والمعجزات.

(٣) ب، ج: وأمَّا المستحيل.

(٤) الجهل نوعان: بسيط وهو عدم العلم بالشيء عما من شأنه العلم، ومركب وهو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع. (تحفة المريد صـ ٥٥).

(٥) الوحي لغة: الإعلام بالشيء سرًّا، أعم من أن يكون بإشارة أو كتابة أو رسالة أو إلهام أو كلام خفي، وهو بهذا المعنى لا يختص بالأنبياء عليهم السلام. أما اصطلاحًا فله ثلاثة تعاريف: الأول: باعتبار معناه المصدري هو التعليم السري الصادر من الله ﷻ إلى أنبيائه بواسطة أو بغيرها، والثاني: باعتبار المعنى الحاصل بالمصدر هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو لا، والثالث: باعتبار كون المراد من الوحي الموحَى به هو كلام الله المنزل على أنبيائه. (القول السديد (٢/ ١٦٥).

(٦) أ: وعدم التبليغ.

(٧) ج: بعثهم.

(٨) قال ﷻ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾النساء: ١٦٥

(٩) أ: كتب وآيات.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(١١) ب: وتفضل بنبينا.

(١٢) بداية ل ٣، ب في ج. قال ﷻ بعد أن ذكر عددًا منهم: ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾الأنعام: ٨٦ وقد أجمع المسلمون على أن سيدنا محمدًا أفضل الخلق على الإطلاق، ولم يخالف في ذلك إلا الزمخشري الذي خرق الإجماع، وقال بتفضيل جبريل على سيدنا محمد ﷺ. (ينظر: شرح المقاصد (٢/ ٢٠٠)، حاشية الصاوي على الجوهرة ص ٢٩٠-٢٩١)، السراج المنير (١/ ٤٨)، (١/ ٤٢١، ٤٣٤).

(١٣) ب: أول الأنبياء وخاتم الرسل.

أخرجتْ للناسِ(١)، ويجوزُ في حقِّهم [ما يجوزُ في حقِّ البشرِ](٢) من الأوصافِ البشريةِ التي لا تقدحُ في مراتبِهم العليةِ [من](٣) مأكلٍ ومشربٍ، [ومنكحٍ وملبسٍ](٤) ، ومرقدٍ ومركبٍ، ونومٍ ويقظةٍ، ومرضٍ وصحةٍ، وبعثٍ(٥) وموتٍ، وحياةٍ ونشورٍ(٦)، [واللهُ أعلمُ] (٧).

وأمَّا **معرفةُ الأولياءِ** بالاتباعِ، ونفي الابتداعِ(٨)، وسلامةِ الصدورِ(٩)، ولينِ الجانبِ(١٠)، ورفضِ الفاني، وإثباتِ الباقي(١١)، ونفي الانهماكِ(١٢)، والإقبالِ على الحقِّ، والإدبارِ عن الخلقِ(١٣)، ونصبِ الموائدِ على رؤوسِ الرجالِ، والنطقِ بالحكمةِ، وإرشادِ الضّالِ بالنصيحةِ(١٤)، والحفظِ من غيرِ إهمالٍ.



---

(١) قال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١١٠

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٤) ب، ج: وملبس ومنكح.

(٥) بداية ل ٢/ ب في ب.

(٦) ما جاز على الرسل من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية إنما هو بحسب ظواهرهم فقط، أما بواطنهم فهي معمورة بالأسرار الإلهية، متعلقة بحب خالق البرية، فلا يحصل منهم ضجر ولا شكوى ولا تأوه منها، بل لا تزيدهم من الله ﷻ إلا قربًا وحبًا. (شرح الخريدة ٣/ ٨٣-٨٤).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج. وقد حصل تقديم في الصفحة الأولى من نسختي (ب، ج) عند الكلام على الواجب والجائز والمستحيل في حق الرسل عليهم السلام.

(٨) الابتداع: الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن ممّا اقتضاه الدليل الشرعي. (التعريفات (ص٤٣).

(٩) ب، ج: الصدر.

(١٠) لين الجانب: لطف في الطبع. (ينظر: المعجم الوسيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة مادة (لين).

(١١) فالفاني فِي حاله، الباقي فِي مشاهدة الحق ﷻ يتولى الله سياسته فتتوالى عَلَيْهِ أنوار التولي، لَمْ يكن لَهُ عَن نَفْسه إخبار، ولا مَعَ غَيْر الله قرار. (ينظر: الرسالة القشيرية (٢/٤١٩).

(١٢) الانهماك: التمادي في الشيء واللجاج فيه، والانغماس في اللذات والمسرات. (ينظر لسان العرب، (همك).

(١٣) أ: المخلوق.

(١٤) ب: وإرسال الضال والنصيحة.



(معرفةُ الإمامِ والملكِ والدنيا والشيطانِ)

وأمَّا **معرفةُ الإمامِ** بالزمانِ، والعلاماتِ، والعدلِ، والشفقةِ، والولايةِ، والتصريفِ، [والإنصافِ](١)، والكشفِ، والتحذيرِ(٢).

وأمَّا **معرفةُ الملكِ** بالأمانةِ، والإعانةِ، والحفظِ، والمهلةِ.

وأمَّا **معرفةُ الدنيا** باللعبِ، واللهوِ، والزينةِ، والتفاخرِ، والغرورِ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٣).

وأمَّا **معرفةُ الشيطانِ** بالغفلةِ(٤)، والنسيانِ، والضلالةِ(٥)، والغيِّ(٦)، والوسوسةِ(٧)، والفتنةِ(٨)، والفسادِ؛ لقوله ﷻ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾(٩).

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٢) أ: والتحرير.

(٣) قال ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ الحديد: ٢٠

(٤) الغفلة: متابعة النفس على ما تشتهيه، وقيل: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة. (التعريفات (ص١٦٢).

(٥) الضلالة: فقدان ما يوصل إلى المطلوب. (ينظر: لسان العرب مادة (ضلل)، التعريفات (ص١٣٨).

(٦) الغي: الضلال والخيبة والفساد. (لسان العرب مادة (غوى).

(٧) الوسوسة: القول الخفي لقصد الإضلال من وسوس إليه ووسوس له، أي: فعل الوسوسة لأجله، وهي حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه. (الكليات (ص٩٤١).

(٨) الفتنة: الإثم والمعصية والضلال. (تاج العروس مادة (فتن).

(٩) المجادلة: ١٩

(معرفةُ النّفسِ)

وأمَّا **معرفةُ النفسِ** بالكذبِ[1]، والخيانةِ[2]، والعُجْبِ[3]، والرئاسةِ[4]، والكبرِ[5]، والرياءِ[6]، والبخلِ[7]، والحسدِ[8]، والحرصِ[9]، والطمعِ،



---

(١) ومداواة الكذب: ترك الاشتغال برضا الخلق وسخطهم، فإن الذي يحمل صاحب الكذب على الكذب طلب رضا الناس أو التزين لهم وطلب الجاه عندهم. (عيوب النفس (ص٢٩).

(٢) بداية ل ٣/ ب في أ.

(٣) العجب: رؤية العبادة واستعظامها والافتخار بها، أو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقًا لها. (ينظر: التعريفات (ص١٤٧)، تحفة المريد (ص ٣٣٦)، كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٩١).

(٤) ففي الناس ثلاث قوى، وهي: الناطقة والبهيمية والغضبية، فهو بالناطقة منها يتحرك نحو الشهوات التي يتناول بها اللذات البدنية، وبالغضبية منها يتحرك إلى طلب الرئاسات ويشتاق إلى أنواع الكرامات...، فمحبة الإنسان للرئاسة أمر طبيعي له، ولكن يجب أن تكون مقومة؛ لتكون في موضعها، وكما ينبغي. (ينظر: الهوامل والشوامل (ص٢٣١).

(٥) الكبر: من التكبر وهو التجبر وبطر الحق وغمص الخلق واحتقارهم. (المعجم الوسيط مادة (كبر)، معجم ألفاظ الصوفية (ص٢٣٨)، تحفة المريد (صـ٣٣٦).

(٦) الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه. (معجم مصطلحات الصوفية (ص١١٦).

(٧) البخل: هو المنع من مال نفسه، والبخل نتيجة لحب الدنيا، ومداواته: أن يعلم المرء أن الدنيا قليلة فانية، وأن حلالها حساب، وحرامها عذاب. (ينظر: التعريفات (ص٤٢-٤٣)، عيوب النفس (ص٣٠).

(٨) الحسد: تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد، ومداواته: أن يعلم أن الحسد عدو نعمة الله، ونتيجة الحسد من قلة الشفقة على المسلمين. (ينظر: التعريفات (ص٨٧)، عيوب النفس (ص٣١).

(٩) الحرص: طلب شيء باجتهاد في إصابة، ومداواته: أن يعلم أنه لا يستجلب بحرصه زيادة ما قدر الله من رزقه. (ينظر: كشاف اصطلاحات (١/ ١٠٩٢)، التعريفات (ص٨٦)، عيوب النفس (ص٣١).

والدعوى[١]، والهوى[٢]، والظلمِ، والعدوانِ، والغيبةِ[٣]، والنميمةِ[٤].

وأصلُها التنافسُ[٥]، ورأسُها مرادُها، وعقلُها هواها، واختيارُها حلاها، وشركُها نظرُها[٦]، وتدبيرُها يداها، وحجابُها دعوتُها[٧]، وانهماكُها شهوتُها، وبلاها انهماكُها[٨].



---

(١) الدعوى: إضافة النفس إليها ما ليس لها. (اللمع (ص٤٢٨)، معجم مصطلحات الصوفية (ص ٩٨). ومداواتها: ملازمة العمل الصالح، والإخلاص فيه، مع استمرار الافتقار إلى الله ﷻ. (ينظر: الدعوى والشطح (ص١٨).

(٢) أي: اتباع الهوى، والهوى: ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية، ومداواته: ما أمر الله به من قوله ﷻ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾النازعات: ٤٠، وقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾يوسف: ٥٣. (ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية (ص٧٢)، عيوب النفس (ص٢٤).

(٣) الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه، أي قلت عليه ما لم يفعله. (التعريفات (ص١٦٣)، وعند الصوفية: أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها. (التعرف (ص٨٧).

(٤) النميمة: كشف ما يُكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو الرمز أو نحوها. (إحياء علوم الدين، (٣/ ١٥٦)، ومداواتها: أن ينصف المرء الخلق من نفسه، بأن يصون نفسه وسمعه عن الاستماع إلى الكذب والغيبة والبهتان... (ينظر: عيوب النفس (ص٥١).

(٥) التنافس قد يكون مذمومًا ككراهة أخذ غيرك شيئًا ما، وهو أول درجات الحسد، وقد يكون محمودًا كما جاء في الحديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أُوتِيت مثلما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالًا، فهو يُهلِكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل» (صحيح البخاري، ك/ فضائل القرآن، ب/ اغتباط صاحب القرآن، رقم (٥٠٢٦)، (٦/ ١٩١)، (ينظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩٦).

(٦) بداية ل ٤/ ب في ب.

(٧) بداية ل ٤/ أ في ج.

(٨) الضمير يعود إلى النفس، وهذه الصفات المذكورة قد جبلت عليها النفس، فلا يصح انتفاؤها عنها، بل ضعفها وقوتها فيها وتحويلها عن مقصد لغيره، كالطمع بتعلق القلب بما عند الله توكلًا عليه ورجاء فيه، والحرص على الدار الآخرة بدلا من الدنيا، والبخل فيما حرم ومنع، والكبر على مستحقه، والحسد للغبطة، والغضب لله ﷻ حيث أمر...، فعلى العبد أن يطهّر نفسه من الأخلاق الذميمة، كالحقد والحسد، وأن يتّصف بالأخلاق الحميدة كالعلم والحلم، فالصفات المذمومة إذا زالت اتصفت النفس بضدها. (ينظر: قواعد التصوف (ص٢٤١).

ولها صفتان: امتناعُ الطاعاتِ، وانهماكٌ في الشهواتِ [١]، وهي صنمٌ، والنظرُ إليها شركٌ، والنظرُ فيها عبادةٌ [٢]؛ لقولِه ﷻ: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [٣].

وأنَّها طلبتْ ما طلبَ اللهُ ﷻ من عبادِه، [طلبَ اللهُ من عبادِه الطاعةَ والإقبالَ عليه] [٤] فطلبتْ النفسُ ذلك، وطلبَ من عبادِه أن يصفوه بالجودِ والكرمِ فطلبتْ النفسُ ذلك، [وطلبَ من عبادِه أن يكونَ المرغوبُ والمرهوبُ منه فطلبتْ النفسُ ذلك] [٥] ، وطلبَ من عبادِه أن يذكروه ولا ينسوه فطلبتْ النفسُ ذلك؛ لأنَّها أرادتْ أن تكونَ ضدًا [٦] للهِ ﷻ في دعواها في مطالبةٍ [٧] في نجواها [٨]؛ [لقولِه ﷻ: ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾] [٩]؛ ولقولِه ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [١٠]، فمَن عرفَ نفسَه فقد عرفَ ربَّه [١١]، عجزٌ بقدرة، وفقرٌ بغنى، وظلمٌ بعدلٍ، وجهلٌ

---

(١) ب: وانهماك الشهوات. وينظر: آداب المريدين (ص ٢٧).

(٢) ينظر: آداب المريدين، (ص٣٢).

(٣) الذاريات: ٢١. وإنما كان النظر إلى النفس عبادة؛ لأنه لا يُرى فيها إلا آثار الحق ﷻ. (الزهد الكبير البيهقي، رقم (٣٤١)، (ص١٥٦).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٦) ب: يكون عند.

(٧) ب: أو مطالبة، ج: ومطالبة.

(٨) أنها - أي: النفس - طلبت أن تكون لله ضدًّا في دعواها وندًّا في مطالبتها. (ينظر: آداب المريدين (ص٣٣).

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج. الأنعام: ٧٠

(١٠) يوسف: ٥٣

(١١) أفرد الإمام السيوطي كراسة رقّم فيها ما يبين الحال ويزيل الإشكال، وجعلها بعنوان: القول الأشبه في حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وقد بيّن أن هذا الحديث ليس بصحيح، وأن النووي قال: إنه ليس بثابت، أما هذا القول فقد اختلف في معناه، فقيل: معناه: من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى، وقيل: من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه. (ينظر: الحاوي للفتاوي السيوطي، (٢/ ٢٢٦-٢٢٧).



بعلمٍ، وسمعٌ بصممٍ، وبصرٌ بكفٍ، وفناءٌ ببقاءٍ، وكرمٌ ببخلٍ[١].

(معرفةُ الدينِ)

وأمَّا **معرفةُ الدينِ** بثلاثةِ[٢] أقسامٍ: إسلام، وإيمان، وإحسان، وزادَ بعضُهم: إحسان الإحسانِ.

فأمّا **الإسلامُ** فهو الاستسلامُ والانقيادُ[٣]، وهو الامتثالُ لأوامرِ الله ﷻ واجتنابِ[٤] نواهيه، ومحلُّه الصدرُ؛ لقوله ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٥].

وأمَّا **أدلةُ**[٦] **الإسلامِ** دالٌ[٧]، ودليلٌ، ومستدلٌ، وبيانٌ: فالدالُ هو اللهُ ﷻ، والدليلُ هو جبريلُ، والمستدلُ[٨] هو[٩] محمدٌ ﷺ، والبيانُ هو[١٠] القرآنُ.

وأمَّا **أصولُ الإسلامِ** خمسةٌ[١١]: أصلٌ صدرتْ منه الأصولُ، وأصلٌ يأتي بالأصولِ، وأصلٌ تأتيه الأصولُ، وأصلٌ تفرعتْ منه الأصولُ، وأصلٌ ترجعُ إليه الأصولُ: فالأصلُ[١٢] الذي صدرتْ[١٣]

---

(١) وبالجملة فإن إصلاح النفس يمر بمرحلتين: الأولى: عملية معرفية حتى يميز العبد في مجال الاعتقاد بين الحق والباطل، وفي مجال الأقوال بين الصدق وغيره، وفي مجال الأخلاق والأفعال بين ما حسنه الشرع وقبحه الشرع، والثانية: لها شقان: الأول: عمل في الظاهر يتمثل في ترويضها على شئون العبادة، والثاني: عمل في الباطن يتمثل في ترويضها على شئون العبودية... (ينظر: جواهر التصوف (ص١٧٢-١٧٣).

(٢) ب: ثلاثة.

(٣) ب، ج: فهو الإسلام والاستسلام، فهو الانقياد، والانقياد هو.

(٤) بداية ل ٥/ أ في ب.

(٥) الزمر: ٢٢

(٦) أ: دلالة.

(٧) ب: قال.

(٨) أ: ومستدل.

(٩) بداية ل ٤/ ب في ج.

(١٠) ب، ج: فهو.

(١١) ب، ج: على خمسة أقسام.

(١٢) ب، ج: فأما الأصل.

(١٣) بداية ل ٤/ أ في أ.

منه الأصولُ هو [1] اللهُ ﷻ، والأصلُ [2] الذي يأتي بالأصولِ هو [3] جبريلُ، والأصلُ [4] الذي تأتيه [5] الأصولُ هو [6] محمدٌ ﷺ، والأصلُ [7] الذي تفرعتْ منه [جميعُ] [8] الأصولِ هو [9] القرآنُ العظيمُ، والأصلُ [10] الذي ترجعُ إليه الأصولُ هو [11] التوحيدُ.

وأصولُ [12] التوحيدِ على أربعةِ أقسامٍ: الاسم والصفات والذات والفعل.

فإن قيلَ لك: ما اسمُ الله ﷻ؟ فقلْ [له] [13]: هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو، عالمُ الغيبِ والشهادةِ، هو الرحمنُ الرحيمُ [14].

وإن قيلَ لك [15]: ما صفةُ الله ﷻ؟ فقلْ له: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) نفيُ الكثرةِ والعددِ، (اللهُ الصَّمَدُ) نفيُ الشريكِ والمعينِ، (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) نفيُ العلةِ والمعلولِ، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) نفيُ الشريكِ والمثيلِ [16].

---

(١) ب: فهو.

(٢) ب: وأمّا الأصل.

(٣) ب، ج: فهو.

(٤) ب: وأمّا الأصل.

(٥) أ: يأتيه.

(٦) ب، ج: فهو.

(٧) ب: وأمّا الأصل.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في نسختي (ب، ج).

(٩) ب، ج: فهو

(١٠) ب: وأمّا الأصل.

(١١) ب، ج: فهو.

(١٢) ب، ج: وأمّا أصول.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(١٤) قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحشر: ٢٢

(١٥) بداية ل ٥/ ب في ب.

(١٦) قال ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤ سورة الإخلاص نفت أنواع الكفر الثمانية، وهي: الكثرة (أي: التركيب)





وإن قيلَ لك: ما ذاتُ الله ﷻ؟ فقلْ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [١].

وإن قيلَ لك: [ما فعلُ الله؟] [٢] فقلْ: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [٣]، ولا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، ولا [يشغلُه] [٤] أشياء عن أشياء، يدبرُ الأمرَ، يفصلُ [٥] الآياتِ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ [٦].

وأمَّا صفاتُ الذاتِ [٧] سبعٌ [٨]: حيٌّ، عليمٌ، سميعٌ، بصيرٌ، متكلمٌ، قادرٌ، مريدٌ، وزادَ بعضُهم [٩]: باقٍ [١٠].

والعدد، والقلة (أي: البساطة) والنقص (أي: الاحتياج)، والعلة والمعلول، والشبيه والنظير. (ينظر: شرح الصاوي على الجوهرة (ص١٦٥)، آداب المريدين (ص٣).

(١) ينظر: آداب المريدين (ص٢-٣).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٣) قال ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ الرحمن: ٢٩، ينظر: آداب المريدين (ص٣).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٥) ب، ج: ويفصل.

(٦) قال ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ **الرعد:** ٢، وقال ﷻ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ الأنبياء: ٢٣

(٧) ب، ج: صفة الذات. وصفات الذات: هي الصفات التي لا تنفك عن ذاته ﷻ، وتسمى بالصفات الوجودية؛ لأنها متحققة باعتبار نفسها، وتسمى بصفات المعاني؛ لأنها دلت على معنى قائم بذاته ﷻ. (ينظر: شرح الصاوي (ص ١٦٨)، إتحاف المريد (ص٨٧).

(٨) ب: سميع. انحصار الصفات الذاتية في سبع إنما هو بالنظر إلى ما قام الدليل عليه تفصيلًا مع قطع النظر عن صفات وقع فيها خلاف، ولم يقم الدليل على أنها صفات زائدة على هذه السبع، كالإدراك والتكوين... (ينظر: إتحاف المريد (ص٨٧).

(٩) بداية ل ٥/ أ في ج.

(١٠) ب، ج: باقي. وممن عدّ صفة البقاء من الصفات الوجودية الإمام الرازي. (ينظر: المطالب العالية (٣/ ٢١١-٢١٣). قال الآمدي: "البقاء ليس زائدًا على معنى استمرار الوجود، فمعنى قولنا: إن الشيء باق أنه مستمر الوجود، وإنه ليس بباق أنه غير مستمر الوجود، وذلك لا يزيد على نفس الوجود...، ثم ولو كان البقاء صفة زائدة على نفس الوجود فإما أن يكون موجودًا أو معدومًا: فإن كان معدومًا فلا صفة، وإن كان موجودًا لزم أن يكون له بقاء، وإلا فلا يكون مستمرًا، وذلك في صفات الباري ﷻ محال، وإن كان له بقاء فالكلام في ذلك البقاء كالكلام في الأول وهلم جرًّا، وذلك يفضى إلى ما لا نهاية له، وهو محال.. (غاية المرام، (ص١٣٥-١٣٦).

وأمَّا **حقُّ المسلمِ على المسلمِ** عشرُ [(١)] خصالٍ: يأمرُه بالخيرِ إذا ضلّ، [وينهاه عن المنكرِ إذا فعلَ] [(٢)]، ويعلمُه إذا جهلَ، ويذكّرُه إذا غفلَ، ويحفظُه إذا غابَ، ويعينُه إذا ظُلم، ويمنعُه إذا ظَلم، ويشبعُه إذا جاعَ، ويسقيه إذا عطشَ [(٣)]، [ويعيدُه إذا مرضَ] [(٤)]، ويشيعُه إذا قُبض [(٥)].

وأمَّا **شرائعُ الإسلامِ** [فخمسةٌ] [(٦)]: القولُ بالحقِّ، والعملُ بالطاعةِ، والوفاءُ بالعهدِ، والإخلاصُ في العملِ [(٧)]، وموافقةُ السنّة.



---

(١) ب، ج: عشرة.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج). الدليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة: أما الكتاب فكقوله ﷻ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ آل عمران: ١٠٤، وأمَّا السنة فكقوله ﷺ: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". (صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٤٩)، (١/ ٦٩).

(٣) ب، ج: ويسقيه إذا عطش، ويشبعه إذا جاع.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٥) روي عن علي -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: (للمسلم على المسلم ثلاثون حقًا ولا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو، يغفر له زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر إنعامه، ويصدق أقسامه، وينصره ظالمًا أو مظلومًا، ويواليه ولا يعاديه، وأما نصرته ظالمًا فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلومًا فيعينه على أخذ حقه ولا يسلمه ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئًا فيطالبه به يوم القيامة فقال أمير المؤمنين: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحدكم ليدع تشميت العاطس إذا عطس فيطالبه به يوم القيامة فيقضي له عليه). (الترغيب والترهيب، إسماعيل الأصبهاني (٢/ ٦٩) رقم (١١٧٠).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٧) الإخلاص قصد الله بالعبادة وحده، قال الجنيد: الإخلاص ما أريد به الله من كل عمل كان، قال ﷺ: "من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فارقها والله عنه راض". أخرجه الحاكم في مستدركه، رقم (٣٢٧٧)، (٢/ ٣٦٢)، (ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (صـ ٩٩)، معجم مصطلحات الصوفية (ص١٢).



وأمَّا **عمادُ الإسلامِ** [فخمسةٌ أيضًا] [١]: الطاعةُ للمعبودِ، والقناعةُ [٢] بالموجودِ، والصبرُ[٣] على المفقودِ، والوفاءُ[٤] بالعهودِ، والوقوفُ عند الأوامرِ والنواهي والحدودِ.

وأمَّا **دعائمُ الإسلامِ** [فخمسةٌ] [٥]: التواضعُ [٦] عند الدولةِ، والصدقُ عند الكلامِ، والعفوُ عند المقدرةِ[٧]، [والنصيحةُ عند العداوةِ] [٨]، والصبرُ [٩] عند الوعيدِ، والعطاءُ بغيرِ[١٠] منةٍ؛ [لقوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾][١١].

وأمَّا **قوائمُ الإسلامِ** [أربعةٌ] [١٢]: عالمٌ ورعٌ، وغنيٌ كريمٌ، وفقيرٌ صابرٌ، وسلطانٌ عادلٌ.

وأمَّا **مصطلحاتُ الإسلامِ**: الصدقُ، [والصفاءُ][١٣] ، والزهدُ[١٤]، والورعُ[١٥]، والصبرُ،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٢) القناعة: في اللغة: الرضا بالقسمة، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي ترك التشوف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود. (ينظر: التعريفات (ص١٧٩)، الرسالة (١/ ٢٩٥).

(٣) الصبر: انتظار الفرج من الله ﷻ، وقيل: حبس النفس على ما أصابها مما لا يلائمها رضا بتقدير المالك المختار من غير انزعاج. (ينظر: التعرف، (ص ٩٣)، شرح الخريدة (ص١٨٨).

(٤) بداية ل ٦/ أ في ب.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٦) التواضع خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم، وقيل: هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم (ينظر: التعرف (صـ٩٧)، الرسالة (١/ ٢٧٥).

(٧) أ: القدرة.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من (ب، ج).

(٩) بداية ل ٤/ ب في أ.

(١٠) ب: بلا.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من (ب، ج).

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من (ب، ج).

(١٤) الزهد: خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التتبع، أي: السخاء والجود بما في اليد من ممتلكات، وعدم النظر بالقلب إلى أملاك الناس وأموالهم. (ينظر: التعرف (صـ٩٣)، معجم ألفاظ الصوفية (ص١٦٩).

(١٥) الورع: ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك. (ينظر: الرسالة (١/ ٢٣٣)، آداب المريدين (ص٣٠).

والسخاءُ(١)، والعلمُ، والحلمُ (٢)، والإخلاصُ، واليقينُ(٣)، وإكرامُ العشيرةِ(٤)، والاقتداءُ بكتابِ(٥) ربِّ العالمين.

وأمَّا **إيمانُ الإسلامِ** [خمسةٌ](٦): الأمنُ(٧)، والصدقُ، والتوحيدُ، واليقينُ، والعلمُ بالتمكينِ.

وأمَّا **مفسداتُ الاسلامِ** [خمسة عشر] (٨): الكذبُ، والجهلُ، والكبرُ، والرياءُ، والدعوى، والهوى، والبخلُ، [والحسدُ] (٩)، والحرصُ، والطمعُ، والعدوانُ، والشكّ، والخيانةُ، وتركُ العشيرةِ، وضعفُ(١٠) اليقينِ، والاقتداءُ بالمضلين.

وأمَّا **سهامُ الإسلامِ** [عشرةٌ](١١): الشهادةُ وهي الملةُ، والصلاةُ وهي الفطرةُ، والزكاةُ وهي الطهارةُ، والصومُ وهو الجنةُ، والحجُّ(١٢) وهو الحجةُ، [ويقال: وهو الشريعةُ(١٣)، والجهادُ وهو الفوزُ، ويقالُ: وهو الكفارةُ](١٤) ، والأمرُ بالمعروفِ وهو الوفاءُ، والنهيُ عن المنكرِ وهو الغيرةُ،

---

(١) السخاء: أن يقدم حظوظ الإخوان على حظه في أمر الآخرة والدنيا. (المقدمة في التصوف (ص٥١).

(٢) الحلم: بالكسر وسكون اللام هو الطمأنينة عند سورة الغضب. (التعريفات (ص٩٢).

(٣) اليقين هو ارتفاع الشك، وقال النووي: هو المشاهدة. (التعرف، (ص ١٠٣).

(٤) ب: العشير.

(٥) ب، ج: بإيجاب.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٧) ج: الأنس.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من (ب، ج).

(١٠) بداية ل ٥/ ب في ج.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١٢) بداية ل ٦/ ب في ب.

(١٣) ج: العشيرة.

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من (ب، ج).

وطلبُ العلمِ وهو الكفارةُ[١]، والجماعةُ وهي الألفةُ[٢].

وأمَّا الدينُ [فهو] [٣] ميتٌ وحياتُه المذاكرةُ، والمذاكرةُ ميتةٌ وحياتُها الإخوانُ، والإخوانُ ميتون وحياتُهم الاجتماعُ، والاجتماعُ ميتٌ وحياتُه الموافقةُ، والموافقةُ ميتةٌ وحياتُها الطلبُ، والطلبُ ميتٌ وحياتُه [٤] السؤالُ [٥]، والسؤالُ ميتٌ [وحياتُه الفهمُ، والفهمُ ميتٌ] [٦] وحياتُه حضورُ القلبِ، وحضورُ القلبِ ميتٌ وحياتُه النيةُ، والنيةُ ميتةٌ وحياتُها العلمُ، والعلمُ ميتٌ وحياتُه الصدقُ، والصدقُ ميتٌ وحياتُه الصفاءُ، والصفاءُ ميتٌ وحياتُه الإخلاصُ، والإخلاصُ ميتٌ وحياتُه اليقينُ، قال[٧] ﷻ: [إن هذا] [٨] لهو حق اليقين [٩]، والصبرُ على ما ذكرناه [١٠].



وأمَّا **فروعُ الإسلامِ** سبعٌ وثلاثون: أولُها: الاستمساكُ بكتابِ الله ﷻ، والاقتداءُ بسنةِ رسولِه

---

(١) ب، ج: الجملة.

(٢) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام عشرة أسهم، وقد خاب من لا سهم له: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي الملة، والثانية: الصلاة وهي الفطرة، والثالثة: الزكاة وهي الطهور، والرابعة: الصوم وهي الجنة، والخامسة: الحج وهي الشريعة، والسادسة: الجهاد وهي العروة، والسابعة: الأمر بالمعروف وهو الوفاء، والثامنة: النهي عن المنكر وهي الحجة، والتاسعة: الجماعة وهي الألفة، والعاشرة: الطاعة وهي العصمة». المعجم الأوسط (٨/ ٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: في إسناده حامد بن آدم، مشهور بوضع الحديث (١/ ٣٧) رقم (١٠٤).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٤) أ: وحياتها.

(٥) ج: السؤال عنه.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من (ب، ج).

(٧) ب، ج: لقوله.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٩) قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾ الواقعة: ٩٥.

(١٠) أ: ذكرنا.

[محمدٍ][1] ﷺ، وكفُّ[2] الأذى، وأكلُ الحلالِ، وردُّ المظالمِ، واجتنابُ المحارمِ، والتوبةُ[3] عند التقصيرِ، ويتبعُها[4] خمسٌ: معرفةُ الرحمنِ، ونقضُ مكائدِ الشيطانِ، والقولُ[5] بالحقِّ[6]، والإخلاصُ بالعملِ، وموافقةُ السنّةِ، يتبعُها خمسٌ: تركُ الفجورِ، وسلامةُ الصدورِ، وتسليمُ الأمورِ[7]، والمشيُ على النورِ، واكتسابُ الأجورِ[8]، يتبعُها خمسٌ: ضبطُ الآدابِ، واتباعُ الصوابِ، وملازمةُ البابِ[9]، والنصيحةُ للأحبابِ، وتركُ العتابِ، يتبعُها خمسٌ: مجانبةُ الجهالِ، وتركُ المحالِ، ورفضُ الجدالِ[10]، وملازمةُ السؤالِ، والشفقةُ على العيالِ، يتبعُها خمسٌ: حبُّ الجليلِ، وخوفُ التحويلِ، والتأهبُ للرحيلِ، وحفظُ الخليلِ، واتباعُ التنزيلِ، يتبعُها خمسٌ: فقهٌ في الدينِ، وقوةٌ في[11] اليقينِ، وصدقةٌ من حلالٍ عن قلةٍ، وقوةٌ عن[12] ضعفٍ، والعفوُ عند المقدرةِ[13].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ). زدناه من ب، ج.

(٢) بداية ل ٧/ أ في ب.

(٣) التوبة: هي الرجوع إلى الله من بعد الذهاب مع دوام الندامة وكثرة الاستغفار، وهي أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين. (ينظر: الرسالة القشيرية، (١/ ٢٠٧)، آداب المريدين (ص ٢٠).

(٤) ب، ج: يتبعها.

(٥) بداية ل ٥/ أ في أ.

(٦) بداية ل ٦/ أ في ج.

(٧) التسليم: الانقياد لأمر الله ﷻ وترك الاعتراض فيما لا يلائم، وقيل: الثبات عند نزول البلاء من غير تغير في الظاهر والباطن. (معجم مصطلحات الصوفية (ص٤٤).

(٨) الاكتساب هو مباشرة الأسباب بالاختيار. (تحفة المريد صـ ٣١٤).

(٩) ب: العتاب. الباب: التوبة؛ لأنه أول ما يدخل به العبد حضرات القرب من جناب الرب. (ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص٣١).

(١٠) الجدال: عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، أو هو مقابلة الحجة بالحجة، وهو حرام إذا كان لإفساد قول الغير. (ينظر: التعريفات (ص٧٥)، تحفة المريد (صـ ٣٣٩).

(١١) ب: بدون (في).

(١٢) ج: من.

(١٣) أ: القدرة.

وأمَّا **حقيقةُ الإسلامِ** فهو التسليمُ للهِ قلبًا ولسانًا، وقولًا وفعلًا، سرًّا وعلانيةً لصاحبِ الدعوةِ الصادقةِ عن الله، وعن [١] مشاهدةٍ بالمعنى [٢] الذي هو [٣] عينُ اليقينِ، واعتقادُه لما تواتر [٤] من المعجزاتِ الباهراتِ [٥] المقتضيةِ لوجوبِ ما جاءَ به أمرًا ونهيًا، ولو [٦] كشفَ الغطاءُ ما ازددتَ [إلا] [٧] يقينًا في ذلك.



وأمَّا **تسليمُ الإسلامِ** تسليمُ الأمورِ كلِّها للهِ ﷻ، والرضا بقضاءِ الله[٨]، والصبرُ على بلائِه، وتركُ التعرضِ فيما جاءَ[٩] عن الله، واتباعُ ما جاءَ به رسولُ الله ﷺ، وتعتقدُ وتتيقنُ[١٠] أنَّ حركاتِ الخلقِ وسكونَها[١١] [فعلٌ][١٢] للهِ[١٣] وحدَه، لا شريكَ له، ولا[١٤] رادَّ لما أعطى، ولا دافعَ لما قضى، ولا مانعَ لما أعطى، ولا ضالَّ لما هدى.

---

(١) ب، ج: عن.

(٢) أ: المعنى.

(٣) ب، ج: هي.

(٤) ب، ج: تواترت.

(٥) أ: الباهرة.

(٦) بداية ل ٧/ ب في ب.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٨) الرضا: ترك السخط، والسخط ذكر غير ما قضى الله بأنه أولى وأصلح له فيما لا يتيقن صلاحه ولا فساده، والرضا يلزم بالقضاء. (ينظر: الإحياء (٤/ ٣٤٦)، مذاقات في عالم التصوف (ص٧٧-٧٨).

(٩) أ: (جاء به).

(١٠) ج: نعتقد ونتيقن.

(١١) ب: وسكناتهم، ج: وسكونهم.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من (ب، ج).

(١٣) ب، ج: الله.

(١٤) ج: لا.

فصلٌ [في شروطِ الإيمانِ] (١)

وأمّا **شروطُ الإيمانِ** [خمسةٌ] (٢): الإقرارُ مع الاعتقادِ الحقيقيِّ، والإخلاصُ (٣) [بالعملِ](٤) والتقوى؛ لقولِه ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ [ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾(٥)] (٦)، والمحبةُ للهِ ورسولِه، ولمَا جاءَ به [رسولُ الله] (٧) أمرًا ونهيًا، و[أن] (٨) يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه من والدِه وولدِه والناسِ أجمعين(٩)، ويكون متبعًا لجميعِ ما وردَ عن رسولِ الله ﷺ أمرًا ونهيًا (١٠)، ويوافق(١١) السنّة وعلماءِ المسلمين(١٢).

والإيمانُ(١٣) **على قسمين**: مستقر، ومستودع (١٤):

فالمستودعُ(١٥) مسلوبٌ في النهايةِ؛ لأنه لم يسبقْ له الإجابَة طوعًا [في](١٦) عالمِ الأزلِ حيث

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من (ب، ج).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٣) بداية ل ٦/ ب في ج.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٥) الممتحنة: ١١

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من (ب، ج).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٩) قال ﷺ: "ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا..". صحيح البخاري، ك: الإيمان، ب: حلاوة الإيمان، (١٦) (١/ ١٢)، وقال الإمام الغزالي: "اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ﷻ ولرسوله ﷺ فرض". (إحياء علوم الدين (٤/ ٢٩٤).

(١٠) بداية ل ٥/ ب في أ.

(١١) أ: وموافقة.

(١٢) ينظر: بستان الفقراء (٢/ ١١).

(١٣) ب، ج: وأمّا الإيمان.

(١٤) ب: المستودع.

(١٥) ب، ج: فأما المستودع.

(١٦) أ: من.

[قال][(١)]: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾[(٢)]، فهذا القسمُ مجازيٌ بواسطةِ صحابةِ المؤمنين قدمًا وصدقًا، فأجابَ [(٣)] كرهًا وندمًا على[(٤)] الإجابةِ؛ لأنَّه بعثٌ قديمٌ، وعبدٌ لا تغيرُه الطاعةُ ولا المعصيةُ، ويرى[(٥)] أهلَه لا شفقةً ولا رفقًا ولا موتًا ولا حياة، قلبٌ لا يخشعُ، وعينٌ لا تدمعُ، ونسألُ [(٦)] اللهَ حسنَ الخاتمةِ.

وأمَّا **المستقرُّ** فهو الحقيقيُّ المنجيُّ، وهم الذين سبقتْ لهم الإجابةُ طوعًا من غيرِ ندمٍ حين سمعوا النداءَ الأزليَّ [(٧)] بتقديرِ العزيزِ العليمِ، الذي لا يسألُ عمَّا يفعلُ وهم يسألون، الذين كانوا في القبضةِ الناجيةِ وتسليم [(٨)] إيمانِهم من النفاقِ وأعمالِهم من الرياءِ والمدحِ والسمعِ، وخلصوها [(٩)] ممَّا سوى الله ﷻ، وختمَ لهم بالسعادةِ في الأزلِ، وأنَّ ذلك كلّه على حسبِ فيضِ النداءِ على القلبِ والجوارحِ عند الوجودِ حيث[(١٠)] سمعوا النداءَ [(١١)] في عالمِ الأزلِ، فمَن كثُر فيضُ نورِه ترقَّى بحسبِ [ذلك][(١٢)] الفيضِ، ومحلُّه القلبُ؛ لقولِه ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ [(١٣)] كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٢) قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ **الأعراف: ١٧٢**

(٣) ب: وأجاب.

(٤) بداية ل ٨/ أ في ب.

(٥) ب: ذوي.

(٦) ب، ج: فنسأل.

(٧) ب: الأول.

(٨) ب: ولتسليم.

(٩) ب: وخلصوا لها.

(١٠) ب: وحيث.

(١١) ب، ج: التسبيح.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(١٣) بداية ل ٧/ أ في ج.

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (١).

[وأمَّا **أحكامُ الإيمانِ** تصديقٌ بالقلبِ(٢)، ونطقٌ باللسانِ، وفعلٌ بالجوارحِ، وعملٌ بالأركانِ](٣)(٤)، [فهو](٥) أن تؤمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ(٦) الآخرِ، وبالقدرِ خيرِه وشرِه وحلوِه ومرِّه [من(٧) الله ﷻ](٨).



وأمَّا **الإحسانُ** أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لم تكنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ(٩).

---

(١) المجادلة: ٢٢. أي: أن الله لما اختار في الأول أن يكون الخلق على قسمين: فريق في الجنة وفريق في السعير، وذلك بعد إقرار الجميع بالربوبية حين النداء الأزلي، وهم في عالم الذر فخاطبهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾، ثم أخبر عنهم بالإسلام فقال: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾، فقضى بالجنة لمن أجاب طوعًا، وبالنار لمن أجاب كرهًا، ثم قبضهم قبضتين ليعرف الكل أنهم تحت قهره وقضائه، فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، ولا أسأل عما أفعل، فمن سبقت له الإجابة طوعا حين قال: (ألست بربكم) بعنايته وبقدرته كان إيمانهم مستقرا سالما من الشكوك والتزلزل، وختم له بالسعادة المقدمة بالعناية الإلهية من أزل الأزل، ولا يضرهم ما قدر عليهم من الذنوب ونحوها لما سبق في علمه، وهذا الصنف هم أهل الإيمان الحقيقي المنجي، وذلك بحسب فيض النداء فمن كثر عليه الفيض ترقى بحسب ما له من ذلك الفيض، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (ينظر: بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٨-٩).

(٢) ج: القلب.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من ب، ج.

(٤) أجمعوا على أن كمال الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، من ترك الإقرار فهو كافر، ومن ترك التصديق فهو منافق، ومن ترك العمل فهو فاسق، ومن ترك الاتباع فهو مبتدع. (آداب المريدين (ص٥).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٦) ب، ج: وباليوم.

(٧) بداية ل ٨/ ب في ب.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ). زدناه من ب، ج. قد أجاب النبي ﷺ عن سؤال جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان بقوله: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت". (صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة الإيمان، والإسلام..، رقم (٨)، (١/ ٣٦).

(٩) أصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ بـ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، لأن معاني صدق التوجه لهذا لأصل راجعة، وعليه دائرة، إذ لفظه دال على طلب المراقبة الملزومة به، وهو نوعان: الأول رتبة العارف، والثاني رتبة من دونه. (الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب:



(فصلٌ في التوبةِ)

فصلٌ: وأمَّا شروطُ التوبةِ [فخمسةٌ] [١]: الإقلاعُ في الحالِ [٢]، والعزمُ على ألّا يعودَ، والندمُ على ما فات، وردُّ المظالمِ إلى أهلِها [٣]، وتركُ خلانِ [٤] السوءِ، [فإنَّها تمحي الذنبَ][٥]، **قال** [٦] ﷺ: "**التائبُ من الذنبِ كمَن لا ذنبَ له**"[٧]، وقال: التوبةُ هي الرجوعُ من الأحوالِ والأقوالِ والأفعالِ أحوالِ القلوبِ[٨] وأقوالِ الألسنّة[٩]، وأفعالِ الجوارحِ[١٠]، وإن شئتَ قلتَ: [أحوالُ المضلين



معرفة الإيمان...، رقم (٨)، (١/ ٣٦). وعند الصوفية: الإحسان هو المراقبة، فإن الإحسان عندهم اسم لمقام يكون العبد فيه ملاحظًا لآثار أسماء الحق وصفاته، فيتصور في عبادته كأنه بين يدي الله ﷻ. (ينظر: قواعد التصوف (ص ١٧)، (ص٨٢)، الإنسان الكامل، (٢/ ١٤٠).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٢) ب، ج: الحين.

(٣) هذا الشرط الرابع إذا كانت المعصية تتعلق بالآدمي، فلن يتم لَهُ شَيْء من ذَلِكَ إلا بَعْد فراغه من إرضاء خصومه، والخروج عما لزمه من مظالمه، فَإِن أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بِمَا أمكنه، فَإِن اتسع ذَات يده لإيصال حقوقهم إليهم أَوْ سمحت أنفسهم بإحلاله والبراءة عَنْهُ، وإلا فالعزم بقلبه عَلَى أَن يخرج عَن حقوقهم عِنْدَ الإمكان والرجوع إِلَى الله بصدق الابتهال والدعاء لَهم، وعلى ذلك فلا تصح توبة من لم يقلع عن الذنب أو من لم يندم، أو من ندم لغير وجه الله ﷻ، أو من لم يعزم على عدم العود؛ إذ معاودة الذنب بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبًا بلا توبة. (ينظر: الرسالة (١/ ٢٠٨، ٢١٠)، جواهر التصوف (ص٦٧)، تحفة المريد (صـ ٣١٩-٣٢٠).

(٤) الخلان: جمع خِل، وهو الصديق. (لسان العرب مادة (خلل). فمن الأسباب المعينة على التوبة مجالسة الصالحين، ومجانبة إخوان السوء، وفي هذا يقول ﷺ: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)، أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٨)، وقال: حسن غريب. وقد قال بعضهم: من جالس ابن صنعة جره إلى صنعته، فمن صحب أبناء الدنيا جذبوه إليها، ومن صاحب أبناء الآخرة جذبوه إلى الآخرة. (ينظر: الأنوار القدسية، الشعراني، (١/ ٩٦)، تحفة السالكين (ص١٦).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٦) ب، ج: وقال. والحديث حسنه الألباني.

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥٠)، (٢/ ١٤١٩) وحسنه الألباني.

(٨) أ: القلب.

(٩) بداية ل ٦/ أ في أ.

(١٠) أ: الجوارحة.

ذهابٌ، وأقوالُهم حجابٌ، وأفعالُهم تباينُ][1] الصوابَ، وتورثُ المقتَ والذلَّ والعذابَ من الملكِ الوهابِ.

والتوبةُ [2] [**واجبةٌ**] [3]؛ لقولِه ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [4]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ الآية [5]، وقال ﷻ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ﴾[6].

وأمَّا **أحكامُ التوبةِ** [خمسةٌ] [7]: قلةُ الأكلِ والطعامِ [8]، وقلةُ المنامِ، والعزلةُ بالقلبِ عن الأنامِ[9]، والتهجدُ بالليلِ [10] والناسُ نيامٌ، واتباعُ [11] شريعةِ خيرِ الأنامِ.

وأمَّا **علاماتُ التوبةِ** [أربعةٌ] [12]: أن [13]تحييَ ما كان عندك ميتًا، وتميتَ ما كان عندك حيًّا،

---

(١) أ، ج: أحوال المضلين وأقوالهم وأفعالهم تباين. أي: وأفعالهم نفاق، وتباين الصواب. (تحفة السالكين ودلائل السائرين (ص١٧).

(٢) ب، ج: وأمَّا التوبة.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٤) الحجرات: ١١

(٥) التحريم: ٨

(٦) الفرقان: ٧٠، ينظر: آداب المريدين (ص ٢٧).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٨) ب: وقلة الطعام، ج: قلة الكلام وقلة الطعام.

(٩) ليس المقصود بالعزلة اعتزاله عن الخلق لسلامة الناس من شره أو سلامته من شرهم، وإنما هي في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة. وفي هذا قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي:

لقاء النَّاس ليسَ يُفيد شيئًا *** سِوى الهذيان مِنْ قيل وقال.

فأقلل مِنْ لقاء النَّاس إلاَّ *** لأخذ العلم أو لصلاح حال.

(ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص١٨٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦١).

(١٠) ب، ج: في الليل.

(١١) ب، ج: والمشي على.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١٣) بداية ل ٧/ ب في ج.

وتحضرَ ما كان عندك[١] غائبًا، وتغيبَ ما كان عندك حاضرًا، [وتحييَ][٢] القلبَ بالتوحيدِ، وتميتَ النفسَ عند هواها، وتغيبَ أهلَ الدنيا، وتحضرَ أهلَ الموتِ، وتراقبُه [في] [٣] كلِّ يومٍ وليلةٍ [وساعةٍ] [٤] ومساءٍ وصباحٍ بتوفيقِ الله ﷻ، [**وتكونَ إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ**][٥] ، **وإذا أصبحتَ فلا تنتظر** [**إلى**][٦] **المساءِ، وكنْ في الدنيا كأنّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**[٧]، **والندمُ توبةٌ**[٨]، وهو خمودُ القلبِ عند ذكرِ [٩] الذنبِ.



وأمَّا **حقيقةُ التوبةِ** [شيئان][١٠]: الخروجُ من الذنبِ[١١]، والتلذذُ بالطاعةِ والمشاهدةِ[١٢].

---

(١) بداية ل ٩/ أ في ب.

(٢) أ: تحيي.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٧) صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب...، رقم (٦٤١٦)، (٤٨/ ٨٩).

(٨) عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الندم توبة". (مسند أحمد (٤٠١٢)، (١/ ٤٢٢).

(٩) ب: ذلك.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١١) ب، ج: نسيان الذنب. وقد سئل الجنيد عن التوبة ما هي؟ فقال: هو نسيان ذنبك، بمعنى: أن تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك خروجًا لا يبقى له في سرك أثر حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط. (ينظر: التعرف (صـ ٩٢)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٥١).

(١٢) المشاهدة هي رؤية الحق ببصر القلب من غير تشبيه كأنه رآه بالعين، قال ﷺ: أعبد الله كأنك تراه، أي: من شأنك أن تراه، فالرؤية ليست حقيقية، بل تمثيلية. (ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٤٤)، الطريق إلى الله (ص٤٥).

فصلٌ في [معرفةِ] (١) طريقِ الله ﷻ (٢)

أما بدايةُ علمِ الطريقِ التيقظُ من أوديةِ المعاصي والغفلةِ، وأن يخرجَ عن أوصافِ بشريتِهِ(٣)، وكلُّ مناقضٍ لعبوديتِه، [ويتركَ] (٤) جهلَه، ويرفضَ بقلبِه الفاني، ويؤثرَ الباقي، ويثبتَ عقلَه، والنهوضُ الى الله ﷻ بلا مهلةٍ.

وأمَّا أحكامُ الطريقِ إلى الله ﷻ [ستةٌ] (٥): نفيُ كذبٍ بصدقٍ، ونفيُ كدرٍ بصفاءٍ، ونفيُ رياءٍ بإخلاصٍ، ونفيُ وهمٍ بفهمٍ، ونفيُ شكّ بيقينٍ، وإثباتُ علمٍ بكشفٍ وإلهامٍ(٦).

وأمَّا الطريقُ إلى الله ﷻ تريدُ [المجاهدةَ (٧) والاستقامةَ (٨):

فأمّا المجاهدةُ(٩)](١٠)؛ لقولِه ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ(١١) جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾(١٢)، [أي: طريقَنا](١٣).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٢) هذا شروع من الخطيب في فن التصوف، "رتبه على معرفة عقائد الإيمان؛ إذ لا يمكن السير إلى الله ﷻإلا بعد معرفتها". (شرح الخريدة صـ١٧٣). الطريق إلى الله ﷻ له أركان ثلاثة: الطريق، والمريد، والشيخ، وقد بدأ الخطيب الشربيني بالركن الأول وهو الطريق.

(٣) أ: البشرية.

(٤) أ: وترك.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٦) فإفراد القلب لله ﷻ مطلوب بكل حال، فلزم نفي الكذب بالصدق، والكدر بالصفاء، والرياء بالإخلاص...، ومدار الكل على سقوط الخلْق من نظر العبد. (ينظر: قواعد التصوف (ص٢٣٣).

(٧) المجاهدة: صدق الافتقار إلى الله ﷻ بالانقطاع عن كل ما سواه. (معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٣٦).

(٨) الاستقامة: حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة. (قواعد التصوف (ص٩١).

(٩) بداية ل ٩/ ب في ب.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(١١) بداية ل ٦/ ب في أ.

(١٢) العنكبوت: ٦٩

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

[وأمَّا الاستقامةُ][١] ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ﴾[٢] الآية.

وأمَّا سبيلُ الطريقِ [ثمانيةٌ][٣]: سلامةُ الصدورِ من الغلِّ[٤] والأغلالِ، والسخاءُ للهِ ﷻ ورسوله ﷺ بالروحِ والمالِ، واتباعُ آثارِ الرجالِ الأبطالِ[٥]، ولينُ الجانبِ للعبادِ، وإرشادُ الضّالِ، وتقوى الله ﷻ[٦] في السرِّ والعلانيةِ، واتباعُ الشريعةِ في الأقوالِ والأفعالِ، والإعراضُ عن الخلقِ في الإقبالِ والإدبارِ[٧].

وأمَّا مراتبُ الطريقِ شريعةٌ وطريقةٌ وحقيقةٌ[٨]:

أما الشريعةُ بظاهرِ الأمرِ لك متاعُك ولي متاعِي[٩].

وأمَّا [الطريقةُ][١٠] لي ولك، قال[١١] ﷻ: ﴿أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ﴾[١٢]، وقال ﷻ: ﴿أَوۡ

---

(١) أ: والاستقامة.

(٢) الجن: ١٦ – ١٧

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٤) بداية ل ٨/ أ في ج.

(٥) أ: والأبطال.

(٦) ب، ج: والتقوى لله.

(٧) ب: الإدبار والإقبال.

(٨) عرف القشيري الشريعة بأنها أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية...، فالشريعة أشارت إلى تكليف الخلق، والحقيقة أشارت إلى تصريف الحق، الشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر. (ينظر: الرسالة (١/ ١٩٥).

(٩) أي: بالإنعام والفضل من الله ﷻ، وهي لعامة المسلمين تبين الحلال من الحرام، ويقيم بها حدود الله، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه. (تحفة السالكين (ص٥٤).

(١٠) أ، ج: الطريق.

(١١) ب: لقوله.

(١٢) النور: ٦١

صَدِيقِكُمْ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2].

وأمَّا حقيقةُ الطريقِ لا لي ولا لك، قال[3] ﷻ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[4] [الآية][5]

، **وقال [النبيُّ][6] ﷺ: (أتيتُكم بشريعةٍ بيضاءَ نقيةٍ لم يأتِ بها نبيٌّ قبلي، ولو كان أخي موسى في زمني وسائرُ الأنبياءِ لم يسعهم إلا [اتباعُ][7] شريعتي تمسكَ بها أولو الألباب)**[8].

أي: أربابُ العقولِ السليمةِ، فنجوا[9] وصلحوا، ومشوا على كاهلةِ الشريعةِ؛ لأنَّ الشريعةَ سفينةٌ، والطريقةَ بحرٌ، والحقيقةَ معادنُ، فمَن ركبَ في السفينةِ عام في البحرِ، والذي عام في البحرِ لا يخلو[10] من الاطلاعِ على تلك المعادنِ، [وإن شئتَ تقول: الشريعةُ شجرةٌ، والطريقةُ أغصانُها، والحقيقةُ ثمرُها][11] ، وإن شئتَ تقول: الشريعةُ نجاة[12]، والطريقةُ التجاءٌ، والحقيقةُ فناءٌ، فلولا النجاة ما كان الالتجاءُ، ولولا الالتجاءُ ما كان الفناءُ، ولولا الفناءُ ما كان البقاءُ، فمَن

---

(١) النور: ٦١

(٢) الشورى: ٣٨. الطريقة: لي متاعك ولك متاعي، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ ، وقال ﷺ: (المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يحقره). سنن الترمذي رقم (١٩٢٧) بلفظ قريب، فالطريقة قصده ﷻ بالعلم والعمل والأخذ بالتقوى وما يقرب إلى المولى من قطع المنازل والمقامات. (ينظر: تحفة السالكين (ص٥٤).

(٣) ب: لقوله.

(٤) البقرة: ٢٨٤

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٦) أ: بدون: النبي.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٨) لم أجد الشطر الأول من هذا الحديث، أما الشطر الثاني فرواه البيهقي بلفظ قريب في شعب الإيمان، في ذكر حديث جمع القرآن، رقم (١٧٦)، (١/ ١٩٩)، كما رواه الحاكم في المستدرك بمعنى قريب، وفيه: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك..."، ك: العلم، رقم (٣٣١)، (١/ ١٧٥).

(٩) بداية ل ١٠/ أ في ب.

(١٠) ب: لا يخلوا.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(١٢) أ: النجا.



نجا التجأ، ومَن التجأ فنى، ومَن فنى بقي، ومَن بقي تحققَ [١] وشاهدَ [وارتقى][٢].

والحقيقةُ بلا شريعةٍ باطلةٌ[٣]، والشريعةُ بلا حقيقةٍ عاطلةٌ[٤]، ومَن تفقهَ ولم يتصوفْ فقد تفسّق، ومَن تصوف ولم يتفقه فقد تزندقْ، ومَن جمعَ بين الاثنين فقد تحقق[٥].



(١) بداية ل ٨/ ب في ج.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ج). وقد قيل أيضًا: الشريعة كالسفينة، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر، فمن أراد الدر يركب السفينة، ويقطع مسافة البحر ليصل إلى الله، ومن ترك هذا الترتيب فلن يصل أبدًا. (ينظر: مذاقات في عالم التصوف (ص٣٣-٣٤).

(٣) ج: باطل.

(٤) ج: عاطل. قيل: كُل شريعة غَيْر مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غَيْر مقيدة بالشريعة فغير محصول. (ينظر: الرسالة (١/ ١٩٥)، وقيل: كل طريقة تخالف الشريعة باطلة، وكل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة. (تحفة السالكين ص٥٤).

(٥) والمعنى: لا تصوف إلا بفقه؛ إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف؛ إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع؛ لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد. (ينظر: قواعد التصوف، (ص ١٥)، الطريق إلى الله (ص ٢١).

(الشيخُ والمريدُ)

ويجبُ على المريدِ(١) بعد(٢) الانتباهِ من غفلتِه(٣) أن يقصدَ إلى شيخٍ من أهلِ زمانِه، مؤتَمَنٍ على دينِه، معروفٍ بالنصحِ والأمانةِ؛ لوصلِ كلِّ طالبٍ(٤) [لمطلبِه](٥)، [صادقٍ](٦) خبيرٍ بالحالِ والمقالِ، قطعَ المفاوزَ والأهوالَ، وترقّى [إلى](٧) مقاماتِ الرجالِ، كاملِ الأخيارِ(٨)، شريعيّ (٩) حقيقيّ، سلوكُه (١٠) على الكتابِ والسنّة، إن(١١) مرضَ مريدُه داواه، وإن حنثَ أفتاه، ظاهرُه مع



---

(١) هذا شروع في الركن الثاني والثالث من أركان الطريق إلى الله ﷻ وهما الشيخ والمريد.
أما المريد فهو الذي صح له الابتداء، وقد دخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم عن نظر واستبصار، وشهدت له قلوب الصادقين بصحة إرادته، ولم يترسم بعد بحال ولا مقام، فهو في السير مع إرادته.
وأما الشيخ فهو الذي سلك طريق الحق، وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد بما ينفعه وما يضره.
فلا بد للسالك من اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله ﷻ على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهي إلى رسول الله ﷺ، وإلا فلا يمكنه الترقي إلى منازل القرب ولو أتى بعبادة الثقلين، بل سيعرض نفسه لإغراء الشيطان له، ولهذا قيل: من لا شيخ له فالشيطان شيخه، ومن علامات الشيخ: أن يكون قادرا على كشف شبهات مريده، معرضًا عن حب الدنيا، ناهيًا نفسه عن الهوى، زاهدًا عفيفًا عما في أيدي الناس والمريدين. (اللمع (ص٤١٧-٤١٨)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٤٢)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص ١٧٢)، مذاقات في عالم التصوف، (ص٢٤).

(٢) بداية ل ٧/ أ في أ.

(٣) مقام الانتباه أول مقامات المريدين، وهو خروج العبد من حد الغفلة. (ينظر: آداب المريدين (ص ٢٠)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٦).

(٤) ب: واصل المواصل لكل طالب، وفي ج: واصل الواصل لكل طالب.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٨) ب: الأخبار.

(٩) أ: شرعي.

(١٠) السلوك: تهذيب الأخلاق ليستعد العبد للوصول بتطهير نفسه عن الأخلاق الذميمة وبالنهج على الأخلاق الحميدة. (ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص ١٣٣).

(١١) بداية ل ١٠/ ب في ب.



الخلقِ، وباطنُه مع الحقِّ، لا تغيرُه الأهوالُ، ولا تؤثرُ فيه الأقوالُ في مقامِ التفويضِ[١] والرضا، جوادِ الفكرِ، جوهريّ الذكرِ، استوى عنده السبُّ والمدحُ، والإقبالُ والإدبارُ، والعطاءُ والمنعُ واحدٌ، ورسخَ [٢] في [علمِ][٣] الهويةِ، وتصرّف بالمشيئةِ، ذو[٤] همةٍ عليةٍ[٥]، وبصيرةٍ نافذةٍ[٦]، وحالةٍ رضيةٍ؛ حتى يصلحَ أن يكونَ وارثًا أمينًا حكيمًا، يسلمُ له[٧] القيادَ[٨]، ويعتقدُ تركَ مخالفتِه والإنكارِ عليه باطنًا وظاهرًا[٩]، ويكونُ كالميتِ بين يديه، يتصرفُ فيه كيف يشاء، وإذا أذنبَ ذنبًا يظهر له[١٠] ذنوبِه المذمومةِ والمحمودةِ[١١]، ويعظمُه عن غيرِه، ويشاهدُ خيالَه بين عينيه في



---

(١) ب: مقام التعريض. المقام: هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينتقل منه إلى غيره، والحال: ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه، فإذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له: الحال. (الإملاء في إشكالات الإحياء (١/ ٧٠).

(٢) أ: ورسخا.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٤) ب: ذوا.

(٥) الهمة لغة: القوة والعزم، وعرفا: حالة للنفس يتبعها غلبة انبعاث إلى نيل مقصود ما، فإن تعلقت بمعالي الأمور فعَلِيّة، وإلا فدَنِيّة، وإن لم تتعلق بواحد منها فليست علية ولا دنية. (تحفة المريد صـ ٥٧).

(٦) ب: ناقدة.

(٧) أي: المريد.

(٨) أ: العباد.

(٩) اعتراض المريد على شيخه والإنكار عليه علامة نقص الثقة، وفقدان المحبة، إذا كان الشيخ مستكملًا لشروط الداعية المربي، ومن أقوالهم: "من سُلب الثقةَ في شيخه سُلب المدد من ربه". (ينظر: أبجدية التصوف الإسلامي للإمام محمد زكي إبراهيم (ص١٢٧-١٢٨).

(١٠) أ: يطهرُه من.

(١١) اعتراف المريد لشيخه بذنوبه وعيوبه ليس بدعًا؛ فقد كان الناس يأتون إلى النبي ﷺ، فيقول أحدهم: (هلكت يا رسول الله، فقد فعلت كذا وكذا)، وكما حدث مثلا في قصة ماعز والغامدية واعترافهما بارتكاب الخطيئة لرسول الله ﷺ فكان ﷺ يدل المعترف بخطئه على ما لو عمل به تقبله الله وعفى عنه، ولا اعتراض بأن هذا يشبه نوعا من الكهنوت في الاعتراف لرجال الدين، فالفارق كبير، فهناك يعتقدون أن مجرد الاعتراف أمام الكاهن كاف في محو الخطيئة، وأن الله يقبله حتما، أما هنا فإنما يدل الشيخ مريده على ما به يرضى الله عنه من توبة



[القربِ والبعدِ][١] ، حقيرٌ بنفسِه حتى لا يقتديَ برأي[٢] غيرِه [٣]، [غيورٌ][٤] على إخوانِه..، فإذا كان المريدُ على هذه الحالةِ والأوصافِ [٥] المحمودةِ أوصلَه[٦] الشيخُ بلطافةِ القربى[٧]، وسقاه من بئرِ الوصلِ [٨] السرِّ المعنويّ حتى نجحَ وفلحَ، وحصلَ له القبول التامّ من الملكِ العلّامِ.

وعلى الشيخِ الأمرُ والهمةُ، وعلى المريدِ الامتثالُ والعملُ، فيا سعادة مَن أحسنَ أدبَه [٩] مع شيخِه؛ لأنَّ العارفين أبوابُ الحقِّ وموصولون [١٠]، قال[١١] ﷻ[١٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[١٣]، والوسيلةُ[١٤] هم العارفون بالله ﷻ [يكونون][١٥] وسيلةً للمريدِ[١٦]

واستغفار أو صدقة ...، ثم يدع ما وراء ذلك لله وحده، وهذا فارق بين الشرك والتوحيد. (ينظر: أبجدية التصوف الإسلامي (ص٥٣-٥٥).

(١) أ: القربى والبعدى. المراد من هذا هو استجماع الهمة وطرد الشواغل، وتفريغ القلب لحسن التوجه، والاستعداد للاستمداد، فإذا ما حصل هذا التخيل كان أول ما ينطرح عن المريد هو الخيال الفاني، فلم يبق إلا الله الباقي، وهذا التخيل لصورة الشيخ ليس شرطًا، بل وسيلة اجتهادية وتجريبية نافلة. (ينظر: أبجدية التصوف (ص٥٢).

(٢) ب، ج: برأيه.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٥) بداية ل ٩/ أ في ج.

(٦) ب، ج: رباه.

(٧) ب، ج: القرب.

(٨) ب: لبن ثدي الوصلة، ج: بين يدي الوصل.

(٩) الأدب: اجتماع جميع خصال الخير. (الرسالة القشيرية (٢/ ٤٤٥).

(١٠) ب: وموصلين.

(١١) ب: لقوله.

(١٢) بداية ل ١١/ أ في ب.

(١٣) المائدة: ٣٥

(١٤) أ: والوسائل.

(١٥) أ: يكونوا.

(١٦) ب: المريد، ج: للمريدين.



[إلى الله ﷻ][(١)]، والعارفون أبوابُ [الحقِّ][(٢)] ؛ لأنّهم أولى بسرِّ[(٣)] الله ﷻ؛ [لقولِه ﷻ][(٤)]: ﴿أَن[(٥)] طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[(٦)]، فإنّما[(٧)] هو تحصيلٌ وذكرٌ[(٨)] وإثباتٌ وذهولٌ[(٩)]؛ لأنّ اللهَ ﷻ منزهٌ[(١٠)] عن السكنِ والحلولِ[(١١)] إشارةً الى الواصلِ.

(الزهدُ والورعُ وأقسامُهما)



وأمَّا الزهدُ والورعُ زمامان[(١٢)] للدينِ، فمَن ضبطهما فقد ضبطَ الدينَ، ومَن [تركَهما][(١٣)] فقد هدم[(١٤)] الدينَ، [يعني: هدمَ دينَه][(١٥)].

وقال [النبيُّ][(١٦)] ﷺ: "لو صليتُم حتى تكونوا كالحنايا[(١٧)]، وصمتُم لما[(١٨)] بقيتُم كالأوتادِ[(١٩)]،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٣) ب، ج: أواني سر.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٥) ب: وأن.

(٦) البقرة: ١٢٥

(٧) ب، ج: وإنما.

(٨) بداية ل ٧/ ب في أ.

(٩) الذهول: شغل يورث حزنًا ونسيانًا. (تاج العروس مادة (ذهل).

(١٠) ب، ج: تنزه.

(١١) لا يصح أن يكون الله ﷻ حالًا في شيء ولا محلًا له؛ لأن الحال في الشيء محصور به، والمحل له ظرف لوجوده، وذلك عليه محال. (ينظر: شرح عقيدة الإمام الغزالي (ص٧١)، القول السديد (٢/ ٧٤).

(١٢) الزمام: زِمَام الأَمر ملاكه. (المعجم الوسيط مادة (زم).

(١٣) أ: تركها.

(١٤) ب، ج: ترك.

(١٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(١٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(١٧) ب: كالحنا.

(١٨) ب: حتى.

(١٩) ب: على الآثار، ج: كالأوتار.

وأجريتُم الدموعَ كالأنهارِ، فلا ينفعُكم إلا بورعٍ صادقٍ"(١).

والورعُ على خمسةِ أقسامٍ: ورع عن الحرامِ، وورع عن المكروهاتِ، وورع عن الشبهاتِ(٢)، وورع عن المباحاتِ، وورع عن الأغيارِ (٣):

فأما (٤) الورعُ الذي عن الحرامِ ففريضةٌ(٥) على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

وأمَّا الورعُ الذي عن المكروهاتِ فهو سلامةٌ من الوقوعِ (٦) في العطبِ (٧).

وأمَّا الورعُ الذي عن الشبهاتِ(٨) [استبراءُ الدينِ (٩) والعرضِ.

وأمَّا الورعُ الذي عن المباحاتِ] (١٠) ففضيلةٌ(١١)، ولكن(١٢) عند القومِ(١٣) واجبٌ إلا على حدِّ الضرورةِ.



---

(١) الحديث بهذا اللفظ لم أجده عن رسول الله ﷺ، وقد ذكره الزمخشري في الفائق في غريب الحديث: "لَو صليتم حَتَّى تكُونُوا كالأوتار، وصمتم حَتَّى تكُونُوا كالحنايا، مَا نفعكم ذَلِك إِلَّا بنية صَادِقَة وورع صَادِق". وَالْمعْنَى: حَتَّى تحدبوا وتنحنوا مِمَّا تجهدون أنفسكُم فتصيروا كالقسي أَو الْعُقُود فِي انحنائها وانعطافها، أَو كالأوتار فِي الدقة من الهزال. (١/ ٣٢٤-٣٢٥)، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٥٧-٢٥٨) رقم (٤١٦) بلفظ قريب: (يَا عَلِيُّ، لَوْ أَنَّ أُمَّتِي صاموا حتى يَكُونُوا كَالْحَنَايَا، وَصَلُّوا حَتَّى يَكُونُوا كَالأَوْتَارِ، قَالَ: ثُمَّ أَبْغَضُوكَ كَبَّهُمُ اللهُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ).

(٢) ج: المشتبهات.

(٣) ب: الأخيار.

(٤) أ: أما.

(٥) ب، ج: فريضة.

(٦) بداية ل ٩، ب في ج.

(٧) العَطَب: هو الهلاك. (لسان العرب، مادة: عطب).

(٨) ج: المشتبهات.

(٩) ج: للدين.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(١١) ب، ج: فضيلة.

(١٢) ج: لكن.

(١٣) بداية ل ١١/ ب في ب.



وأمَّا الورعُ الذي عن الأغيارِ(١) ألا يختلجَ شركٌ(٢) بالله، ولا يطرقَ قلبُك سواه.

والزهدُ على خمسةِ أقسامٍ:

الأول: أن تزهدَ ما في أيدي الناسِ يحبُّك الناسُ.

الثاني: أن تزهدَ [في الدنيا يحبُّك اللهُ(٣).

الثالث: أن تزهدَ أحوالَك وأقولَك وأفعالَك، وترحلَ عن عملِك وعلمِك](٤).

الرابع: أن تزهدَ المقاماتِ والتصريفَ والكراماتِ، ولا تقف عند الوارداتِ(٥).

الخامس: أن تزهدَ فيما(٦) سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والزّاهدون هم الآمنون الوارثون، **وقال ﷻ لنبيِّه [محمدٍ ﷺ]**(٧): **"يا محمّد، أُعطِي الزاهدون**(٨) **يومَ القيامةِ مفاتيحَ الجنةِ"** (٩).

---

(١) ب: على الأخيار.

(٢) ب: سرك. الاختلاج: الانتزاع والاجتذاب. (لسان العرب مادة: خلج).

(٣) أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس". (أخرجه الحاكم في المستدرك رقم (٧٨٧٣)، (٤/ ٣٤٨) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٤) أ: الثاني: أن تزهد أحوالك وأقولك وأفعالك، الثالث: أن ترحل عن عملك وعلمك.

(٥) الوارد مَا يرد عَلَى القلوب من الخواطر المحمودة مِمَّا لا يَكُون بتعمد العبد. (الرسالة (١/ ٢٠٠)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص٧٣).

(٦) ب، ج: ما.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٨) ب، ج: الزاهدين.

(٩) لم أجده في كتب أهل السنة.



(أقسامُ الإيمانِ)

وأمَّا الإيمانُ(١) **على قسمين:** قسم محمود، وقسم مذموم:

فأما القسمُ المذمومُ افتقارُ القلبِ إلى الأغيارِ، واشتغالُه بالأغيارِ(٢) عن الملكِ الجبارِ، قال(٣) ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ الآية(٤).

وأمَّا القسمُ المحمودُ [فهو](٥) على قسمين: [الأول](٦) الرضا بالقسمةِ، وعدمُ الإملالِ من القلبِ ممّا خلتْ منه اليدُ والإيثارُ؛ لقوله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ(٧) عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٨).

والثاني: الأنسُ، والتفويضُ، والعجزُ، والافتقارُ(٩)، [والاحتقارُ بما سوى](١٠) الملكِ الجبارِ.

(أقسامُ الفقرِ)

وأمَّا(١١) **الفقرُ على قسمين:** خاص، وعام:

فأما العامّ(١٢) افتقارُ كلِّ ما سواه إليه، قال(١٣) ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ [وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ](١٤)﴾.

---

(١) ب، ج: الفقر.

(٢) ب: بالأخيار.

(٣) ب: لقوله.

(٤) الكهف: ٢٨

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٧) بداية ل ٨/ أ في أ.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج. الحشر: ٩

(٩) بداية ل ١٢/ أ في ب. ب: والافتقار إلى الله.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(١١) بداية ل ١٠/ أ في ج.

(١٢) أ: فالعام.

(١٣) ب، ج: لقوله.

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج. فاطر: ١٥

وأمَّا الخاصّ نورٌ ظاهرٌ، وعبدٌ شاكرٌ، وعقلٌ فاكرٌ، وقلبٌ عامرٌ، وجسدٌ على البلاءِ صابرٌ.

وهو[١] **على قسمين:** محمود، ومذموم:

فأمّا المذمومُ يكادُ أن يكونَ كفرًا.

وأمَّا المحمودُ نفيُ الشكِّ والظنونِ، وعلمٌ موزونٌ، وروحٌ تهونُ[٢].

(التصوفُ والصوفيُّ)

وليس الفقرُ [هو التصوّف[٣]، بل نهايةُ الفقرِ بدايةُ التصوفِ[٤]][٥]، فإذا راقبتَ الجبارَ، ونفيتَ[٦] الأغيارَ، وصفيتَ من الأكدارِ، فحينئذ يحقُّ لك[٧] أن تدخلَ دائرةَ التصوفِ، **وليس التصوفُ [هو]**[٨] **لبسَ الصوفِ**، بل هو[٩] علمٌ على التصوفِ[١٠]؛ لأنّ النبيَّ ﷺ كان يلبسُ[١١] الصوفَ[١٢]، وقال ﷺ:

---

(١) ب، ج: وأمَّا الفقر.

(٢) أ: يهون.

(٣) عُرف التصوف بتعاريف كثيرة بناء على ذوق وحال ومقام صاحب كل تعريف، فقد عرفه الإمام الغزالي بأنه تجريد القلب لله ﷻ واحتقار ما سواه، الجنيد عن التصوف فقال: أن يميتك الحق عنك، ويحييك به، وهو ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع... (الإحياء (٢/ ٢٥٠)، الرسالة (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، مذاقات في عالم التصوف (ص٣٠).

(٤) ينظر: آداب المريدين (ص٧).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٦) أ: وفنيتَ

(٧) ب: يجمل بك، ج: يحل لك.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٩) ب، ج: إنه.

(١٠) قيل: التصوف نسبة إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الصوفية، وقد اعترض عليه بأن القوم ليسوا مختصين بلبس الصوف فقط دون غيرهم، وأجيب عليه بأنهم نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف. (ينظر: التعرف (ص٢١)، الرسالة (٢/ ٢٤٠)، الصوفية والفقراء، (ص٣٠).

(١١) ب، ج: أمر بلبس.

(١٢) عن سهل بن سعد قال: حِيكَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حُلَّةٌ مِنْ أَنْمَارٍ مِنْ صُوفٍ أَسْوَدَ، وَجُعِلَ لَهَا ذُؤَابَتَانِ مِنْ صُوفٍ أَبْيَضَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَجْلِسِ وَهِيَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَ عَلَى فَخِذِهِ: «أَلَا تَرَوْنَ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْحُلَّةَ؟» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِي هَذِهِ الْحُلَّةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُئِلَ شَيْئًا لَمْ يَقُلْ لِشَيْءٍ يُسْأَلُهُ قَطُّ: لَا،

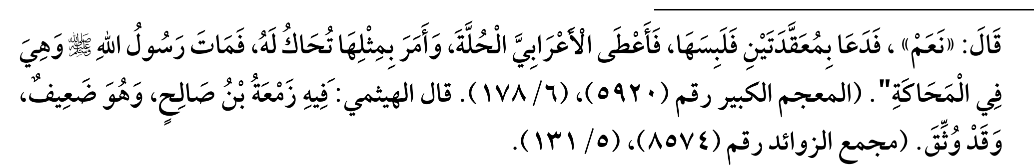
(استعينوا على الفقرِ بـ[لبس][١] الصوفِ)[٢].

[والصوفُ][٣] لباسُ الأولياءِ وعلمُ الأتقياءِ، وهو لباسُ الأخيارِ، [وعلمُ الأسرارِ][٤].

والتصّوفُ مشتقٌ من الصفِّ [٥]، وهو مأخوذٌ من أهلِ الصفةِ المهاجرين الذين أمر اللهُ رسولَه أن يجلسَ معهم مساءً وصباحًا [٦]، قال [٧] ﷻ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ[٨] وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ إلى قوله: ﴿ فُرُطًا ﴾[٩].

وقال ﷺ: "**مَن أرادَ أن يجلسَ مع الله ﷻ فليجلسْ مع أهلِ التصوفِ**[١٠]، **إنّ للهِ عبادًا نظرَ** [١١]




قَالَ: «نَعَمْ» ، فَدَعَا بِمُعَقَّدَتَيْنِ فَلَبِسَهَا، فَأَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ الْحُلَّةَ، وَأَمَرَ بِمِثْلِهَا تُحَاكُ لَهُ، فَمَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ فِي الْمَحَاكَةِ". (المعجم الكبير رقم (٥٩٢٠)، (٦/ ١٧٨). قال الهيثمي: فِيهِ زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَقَدْ وُثِّقَ. (مجمع الزوائد رقم (٨٥٧٤)، (٥/ ١٣١).

(١) ب، ج: بالصوف.

(٢) لم أجده في كتب السنة، والله أعلم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج. الأسرار: عبارة عما بطن من المعاني اللطيفة. (ينظر: معراج التشوف (ص٧٣).

(٥) أي: إلى الصف المقدم بين يدي الله ﷻ؛ لارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه..، وقد اعترض على هذا بأن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف، ولو كان كذلك لقيل: صَفيّ. (ينظر: التعرف (ص٢١)، الرسالة (٢/ ٤٤٠)، الصوفية والفقراء (ص١٤).

(٦) الصُّفة: موضع مظلل من المسجد كان يأوي إليه المساكين والفقراء، ولكن قد اعترض على هذا الرأي أيضا بأن النسبة إلى الصفة ليست صوفي، بل صُفيّ، وقد يجاب عن ذلك بأن الصُّفية هي الصوفية بقلب إحدى الفاءين واوًا للتخفيف. (ينظر: لسان العرب مادة (صفف)، وينظر: التعرف (ص٢١)، الرسالة (٢/ ٤٤٠)، الصوفية والفقراء (ص١٤).

(٧) ب، ج: لقوله.

(٨) بداية ل ١٢/ ب في ب.

(٩) الكهف: ٢٨

(١٠) لم أجده في كتب السنة، والله أعلم.

(١١) أ: إذا نظر.

[اللهُ][(١)] **إليهم بعينِ الرحمةِ، وألبسَهم**[(٢)] **لباسَ**[(٣)] **السعادةِ".**

والصّوفيُّ[(٤)] مَن لبسَ الصّفا[(٥)]، وكتمَ المعاني واختفى[(٦)]، ومشي على الشّرعِ بالوفا، ورضي بالقسمةِ[(٧)] واكتفى، ورفضَ الدنيا خلفَ القفا، وأنصفَ الخلقَ من نفسِه، ولم ينتصفْ وذبحَها بسكينِ المخالفةِ[(٨)] [ونفى][(٩)].

والصّوفيُّ[(١٠)] مَن عقلُه رشيدٌ، وعلمُه يزيدُ، وعزمُه شديدٌ، وعن الأغيارِ بعيدٌ، وقلبُه فريدٌ بالحقِّ المجيدِ.

والصّوفيُّ[(١١)] مَن قفلَ على نفسِه الأبوابَ[(١٢)]، واجتنبَ[(١٣)] الأحبابَ، وطهّرَ القلبَ للوهابِ، وخلّصَ اليدَ [من][(١٤)] الأسبابِ[(١٥)]، ولازمَ البابَ، واتبعَ الصوابَ، [وأنابَ][(١٦)] ولم يرتابْ، وعن



---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٢) أ: ألبسهم.

(٣) بداية ل ١٠/ ب في ج.

(٤) ب: والصوف.

(٥) قيل: إن الصوفي نسبة إلى الصفاء؛ وذلك لصفاء أرواحهم وسرائرهم، واعترض عليه بأنه لو كان كذلك لكان حقه أن يقال: صَفَائي، أو صَفَوي. (ينظر: التعرف (ص٢١)، الرسالة (٢/ ٤٤٠)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٣).

(٦) ب: واختص.

(٧) أ: بما قسّم.

(٨) مخالفة النفس رأس العبادة، وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا: ذبح النفس بسيوف المخالفة. (ينظر: الرسالة (١/ ٢٨٣)، معجم مصطلحات الصوفية (ص ٢٤٠).

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج. وينظر: التعرف (ص٢٥).

(١٠) ب، ج: الصوفي.

(١١) ب، ج: الصوفي.

(١٢) بداية ل ٨/ ب في أ.

(١٣) ب، ج: وتجنب.

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(١٥) ب: للأسباب.

(١٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

السوا غابَ، وفي محبوبِه طابَ.

والصّوفيُّ (١) [مَن] (٢) عرضُه مباحٌ، ووقتُه سماحٌ، وقربُه فلاحٌ(٣)، وشأنُه ذكرُ الملكِ الفتاحِ، حتى شربَ الراحَ، فراحَ واستراحَ (٤).

والصّوفيُّ (٥)مَن قلتْ (٦) حظوظُه، وبقيتْ حقوقُه (٧)، ظاهرُه مع الخلقِ، وباطنُه مع الحقِّ، لا تغيرُّه الأهوالُ، ولا تؤثرُ فيه الأقوالُ، جوعُه كشبعِه، وشبعُه كجوعِه(٨)، وفقرُه(٩) كغناه، وغناه كفقرِه، ونومُه كسهره(١٠)، وسهره(١١) كنومِه، وبعدُه كقربِه، وقربُه كبعدِه، استوى عنده في حالِ(١٢) الشدةُ والرخاءُ، والمنعُ والعطاءُ، والوفاءُ والبلاءُ والصفاءُ(١٣)، والخَلْوةُ والجلوةُ (١٤)،

---

(١) ب، ج: الصوفي.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٣) ب، ج: صلاح.

(٤) المستريح من العباد من أطلعه الله ﷻ على سر القدر، لأنه يرى أن كل مقدور يجب وقوعه في وقته المعلوم، وكل ما ليس مقدورا يمتنع وقوعه، فاستراح من الطلب والانتظار لما لا يقع، والحزن والتحسر على ما فات، والصبر والتسليم على ما وقع. (معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٤٣).

(٥) ب، ج: الصوفي.

(٦) ب، ج: فنيت.

(٧) الحقوق: أي حقوق النفس: ما يتوقف عليها حياتها وبقاؤها، وما زاد فهو حظوظ، والحظوظ والحقوق ضدان لا يجتمعان. (معجم مصطلحات الصوفية (ص ٧٨-٧٩).

(٨) قيل: من أدب الجوع الصوفي أن يكون الفقير معانقًا للجوع في وقت الشبع، حتى إذا جاع يكون الجوع أنيسه. (المرجع السابق (ص ٦٨).

(٩) بداية ل ١٣/ أ في ب.

(١٠) أ: كسهوه.

(١١) أ: وسهوه.

(١٢) أ: الحال.

(١٣) ب: والعفا.

(١٤) الخلوة: هي الخلوة عن جميع الأذكار إلا ذكر الله، والجلوة هي خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية؛ إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوة عن الأنانية. (التعريفات ص٧٦)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٦٣، ص٩٢).



والحلوُ والمرُّ، والذهبُ، والحجرُ، والفضةُ، والنحاسُ، والرصاصُ واحد.

وأحوالُهم مأخوذةٌ من أحوالِ النبيِّ ﷺ؛ لأنَّه كان في حالِ نبوتِه يختلي في غارِ حراء، فاستوى[(١)] عنده [الخلوةُ والجلوةُ] [(٢)]، والفقرُ [(٣)] والغنا، والقربُ[(٤)] والبعدُ، والنومُ والسهرُ، والحجرُ [(٥)] والمدرُ[(٦)]، والفضةُ والذهبُ واحدٌ؛ لأنَّه كان [له][(٧)] جزءٌ من السرِّ المعنويّ، الذي هو ورثُ[(٨)] النبوةِ.

فهذه أحكامُ مذاهب السادةِ الصوفيةِ [(٩)] وطريقِهم، وأشرفُها الأدبُ، فمَن ضبطَ الأدبَ فقد ضبط كلَّ خيرٍ، [ومَن فاته الأدبُ فاته كلُّ خيرٍ][(١٠)] ؛ لأنَّ الأدبَ قيدُ الجاهلِ، وشرفُ العاقلِ، وهو الجلوسُ على بساطِ الاقتدارِ بالتذللِ والانكسارِ، والعجزِ والاحتقارِ، والتفويضِ[(١١)] والاعتبارِ.

---

(١) ب: استوى.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من: ب، ج.
(٣) أ: الفقر.
(٤) بداية ل ١١/ أ في ج.
(٥) ج: بدون: والحجر.
(٦) المدر: الطيب اليابس، الذي لا رمل فيه. (لسان العرب مادة: مدر).
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.
(٨) أ: يورث.
(٩) أ: مذهب الساداتِ.
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.
(١١) ب: والتعريض.

فصلٌ في الأدبِ

اعلمْ: أنّ الأدبَ على أربعةِ أقسامٍ:

القسم الأوّل في آدابِ أبناءِ [١] الدنيا في جميعِ العلومِ، والفصاحةِ[٢] والبلاغةِ، وتحسينِ أشعارِ الأدبِ، ومجالسةِ الملوكِ.

القسم الثّاني في آدابِ المجتهدين في تطهيرِ الأذنين، وغضِ البصرِ، وكفِّ[٣] الأذى، وحفظِ[٤] اللسانِ، و[حفظِ][٥] الجَنانِ عن الالتفاتِ لغيرِ الملكِ الديانِ، وذبحِ النفسِ بسكينِ المخالفةِ[٦]، واستعمالِها بالرياضةِ[٧] والمجاهدةِ فيما يوافقُ الكتاب والسنّة.

القسم الثالث في آدابِ السائرين في نفي الأغيارِ، وصفاءِ السرِّ من الأكدارِ، والخوفِ[٨] والمراقبةِ[٩] وملازمةِ الذكرِ بالإحصارِ [١٠]، والخشيةِ [١١] والحياءِ [١٢] من الملكِ الجبارِ.

---

(١) ب: أهل.

(٢) بداية ل ١٣/ ب في ب.

(٣) بداية ل ٩/ أ في أ.

(٤) ب، ج: وضبط.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.

(٦) قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات: ٤٠ – ٤١

(٧) الرياضة: عبارة عن تهذيب الأخلاق النفيسة وتمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته. (معجم مصطلحات الصوفية (ص ١١٦).

(٨) الخوف: مطالعة القلب بسطوات الله ونقماته. (آداب المريدين ص ٢١).

(٩) المراقبة: محافظة القلب عن الردية، وقيل: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.(معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٤٠).

(١٠) ب، ج: بالإحضار. هذا وفضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير...، بل كل عامل لله ﷻ بطاعة فهو ذاكر لله ﷻ. (ينظر: حلية الأبرار وشعار الأخيار للنووي، (ص٧).

(١١) الخشية: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، تارة يكون بكثرة الجناية من العبد، وتارة يكون بمعرفة جلال الله وهيبته. (معجم مصطلحات الصوفية ص ٩٠).

(١٢) الحياء: هو انقباض النفس من شيء ما وتركه حذرًا من اللوم فيه، وهو نوعان: حياء نفساني وهو الذي خلقه الله في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة، وحياء إيماني: وهو الذي يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله ﷻ. (ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص ٨٣- ٨٤).



القسم الرابع في آدابِ الوطنِ [١]، وكتمِ الأسرارِ، ومشاهدةِ الأنوارِ، وفهمِ دقائقِ الأسرارِ.

فهذه آدابُ الرجالِ الواصلين الكُمّلِ[٢] الأخيارِ أهلِ الولايةِ[٣] والتصديقِ والعزِّ والشرفِ [والاختيارِ][٤].

والأدبُ له ظاهرٌ وباطنٌ [٥]:

فأمَّا[٦] الباطنُ [فهو] [٧] أدبُ [القلبِ] [٨].

والظاهرُ أدبُ الجوارحِ، [فإذا] [٩] انضبطَ القلبُ انضبطتْ الجوارحُ، وإذا انهملَ القلبُ انهملتْ الجوارح [١٠]، ومخابرُ القلوبِ أثرُها على الوجهِ يلوحُ[١١].

---

(١) الوطن: وطن العبد حيث انتهى به الحال واستقر به القرار. (معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٦٧).

(٢) أ: الكمال. والكُمل جمع الكامل. (تاج العروس مادة (كمل).

(٣) ب، ج: الولاء.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.

(٥) ب: والآداب ظاهرا وباطنا.

(٦) بداية ل ١١/ ب في ج.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب)، وفي ج: القلوب.

(٩) أ: وإذا.

(١٠) أ: وإذا أُهملَ القلبُ أُهملتْ الجوارحُ. قال رسول الله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". (صحيح مسلم، ك: المساقاة، ب: أخذ الحلال...، رقم (١٥٩٩) (٣/ ١٢١٩).

(١١) أي: أن باطن العبد يعرف من ظاهر حاله؛ لأن الأسرَّة تدل على السريرة، وما خامر القلوب فعلى الوجه أثره يلوح، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الفتح: ٢٩، وقال ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ محمد: ٣٠، وقد قيل: الناس حوانيت مغلقة، فإذا تكلم الرجلان تبين العطار من البيطار، فالقلب هو الأصل الجامع لجميع الجوارح، فإذا كان هناك عضو فاسد فإن سبب ذلك خلل في القلب، فينبغي إصلاحه. (ينظر: قواعد التصوف (ص١٩٥)، مذاقات في عالم التصوف (ص٣٧).

قال[(١)] [النبيُّ] [(٢)] ﷺ: (إنَّ ربّي أدّبني فأحسنَ أدبي) [(٣)].

ومَن[(٤)] [فاتَه الأدبُ في الوقتِ فوقتُه كلّه مقتٌ] [(٥)]، كمَا قال بعضُهم:

إنّما العلمُ كلحمٍ ودمٍ ... ما حواه جسدٌ إلا انصلحْ.

وكذا الآدابُ في كلِّ فتى ... كزنادٍ أينما حلّ قدحْ.

وقلّة [(٦)] الآدابِ في كلّ فتى ... كشجاعٍ أينما رامَ رمحْ.

لو يزينوا رجلًا ذا أدبٍ ... عمرُه يا قوم بالله نجحْ.

لو وزنوا [(٧)] رجلاً ذا أدب ... بألوفٍ من ذوي الجهلِ رجحْ.

هلْ رأيتُم رجلاً بلا [(٨)] أدب ... عمرُه يا قوم بالله نجحْ [(٩)].

---

(١) ب، ج: وقال.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.

(٣) في ب: أدبني ربي فأحسن أدبي. الحديث بلفظ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) روي في الجامع الصغير للسيوطي، رقم (١٢٦٢)، ضعفه الألباني.

(٤) بداية ل ١٤/ أ في ب.

(٥) أ: (صفاته الآداب في الوقت فإنه كله). الوقت: هو ما حضرك في الحال، فإن كان من تصريف الحق فعليك الرضا والاستسلام حتى تكون بحكم الوقت لا يخطر ببالك غيره، وإن كان مما يتعلق بكسبك فالزم ما أهمك فيه لا تعلق لك بالماضي والمستقبل: فإن تدارك الماضي تضييع للوقت، وكذا المستقبل، فالصوفي ابن وقته، إن لم يقطعه فيما طلبه الحق منه قطعه عن الطاعات بالموت. قال الإمام الشافعي: "سرت مع الصوفية فاستفدت منهم أن الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك". (ينظر: الرسالة (٢/ ٤٤٨)، آداب المريدين (ص١٧)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص٧٨-٧٩)، مذاقات في عالم التصوف (ص٧٣).

(٦) ب: قلة.

(٧) ب: يزينوا.

(٨) أ، ب: ذا.

(٩) أ:

إنما العلم كلحم ودم ... ما حواه جسد إلا انصلح.

وقلة الآداب في كل فتى ... لحمار أينما حل رمح.

لو وزنتم رجلا ذو أدب ... بألوف من ذي الجهل رجح.

واعلمْ [يا ولدي] [(١)]: أنّ هذه المقدمةَ [المباركةَ] [(٢)] [جمعناها] [(٣)] من كلامِ القومِ، وفيها رموزٌ ومعاني شتّى، فمَن حفظَها وداومَ عليها أفهمَه اللهُ ﷻ رموزَها، وفتحَ [اللهُ] [(٤)] عليه، وجعلَه من جملةِ المجتهدين الورعين.



(خصالُ أهلِ الولايةِ والتّصوفِ)

واعلمْ: أنّ مَن رزقه اللهُ ﷻ عشرَ خصالٍ ثبتتْ له الولايةُ: عقلٌ يستدلّ به [(٥)] إلى الهدايةِ، وعلمٌ يرشدُه إلى الاستقامةِ، وشفقةٌ تورثُه الرفقَ، وقناعةٌ تورثُه الغنا [(٦)]، وعفّةٌ تنفي عنه الانهماكَ، وخلُقٌ ينفي عنه الحمقَ، وأدبٌ يجلسُه على بساطِ الافتقارِ، وخوفٌ يحجزُه عن المعاصي، ورجاءٌ [(٧)] يسارعُ به إلى الخيراتِ، ويجعلُ الخوفَ للنفسِ سائقَها والرجاءَ [(٨)] قائدَها، [فإذا تهاونَ سائقُها حثّها قائدُها، وإذا تهاونَ قائدُها حثّها سائقُها] [(٩)]؛ لأنَّ الخوفَ والرجاءَ زمامان للعبدِ [(١٠)] عند [(١١)]

هـل رأيـتـم رجـلا ذا أدب ... لـه عـمـرة يـا قـوم بـالله نـجـح.

ذُكرت بعض هذه الأبيات في كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان، (ص٢٢١)، وقد نسبها إلى عَبْد العزيز بْن سليمان الأبرش.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٣) ما بين المعقوفتين مثبت في (ج)، وفي أ و ب (بمعناها).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٥) ب، ج: يدل.

(٦) بداية ل ٩/ ب في أ.

(٧) الرجاء هو إسكان القلب بحسن الوعد، وهو من جملة مقامات الطالبين وأحوالهم. (ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص١١٠)، الرسالة (١/ ٢٥٩).

(٨) بداية ل ١٤/ ب في ب.

(٩) ب، ج: فإذا تهاون قائدها حثها سائقها، وإذا تهاون سائقها حثها قائدها.

(١٠) ب: العبد.

(١١) ب، ج: عن.

سوءِ [١] الأدبِ، وكلُّ قلبٍ خُلّي منهما فهو خرابٌ[٢].

واعلمْ: أنّ مَن أعطاه اللهُ ﷻ عشرين [خصلة] [٣] سلمَ من الاعتراضِ، وكان من أهلِ التّصوفِ[٤] [والتّفويضِ] [٥]: ورعٌ ينفي عنه الحرامَ، وزهدٌ ينفي عنه الأغيارَ، ويقظةٌ تنفي عنه الغفلةَ، وطلبٌ ينفي عنه التّقصيرَ، وعلمٌ ينفي عنه الجهلَ، وصدقٌ ينفي عنه الكذبَ، وهمّةٌ تنفي عنه الكسلَ، وعملٌ ينفي عنه البطالةَ، وصبرٌ ينفي عنه القلقَ، ورضا ينفي عنه الإهمالَ[٦]، واتباعٌ ينفي عنه [البدعةَ [٧]، واحتقارٌ ينفي عنه الدّعوى][٨]، وسخاءٌ ينفي عنه البخلَ، وتفويضٌ ينفي عنه الاعتراضَ، وذكرٌ ينفي عنه النسيانَ[٩]، وإخلاصٌ ينفي عنه الرّياءَ، ويقينٌ ينفي عنه الشّكّ [فافهمْ، واللهُ ﷻ أعلمْ][١٠].



واعلمْ[١١]: أنّ [هذه الأخلاقَ][١٢] الرضيّة، والمواطنَ الفاخرةَ، والعلومَ النيّرةَ، مَن فهمَها وعملَ بها سعدَ في الدّنيا والآخرةِ، [واللهُ الموفقُ][١٣] ، [وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم][١٤].

---

(١) بداية ل١٢/ أ في ج.

(٢) ينظر: آداب المريدين (ص٨).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٤) ج: التصرف.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(٦) ب: الانهماك.

(٧) المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا فهذه البدعة الضلالة، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئًا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة. (فتح الباري (١٣/ ٢٥٣).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.

(٩) قيل: ذكرتك لا أني نسيتك لمحة *** وأيسر ما في الذكر ذكر لساني. (التعرف (صـ ١٠٤).

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب، ج.

(١١) ب: اعلم.

(١٢) ما بين المعقوفتين مثبت في (ب، ج)، وفي (أ): أن الإخلاص بالأخلاق الرضية.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.



(بيان بعض مصطلحاتِ الصوفيةِ)

وأمَّا[١] الإرادةُ [٢] ملازمةُ المرادِ، وأمَّا الطّلبُ إرسالُ النّفسِ في ميدانِ الأحكامِ، وتركُ الشّفقةِ عليها من طوارقِ الآلامِ[٣]، وأمَّا التّسليمُ عدمُ المخالفةِ[٤].

وأمَّا الصّبرُ فهو الجلوسُ تحت مجاري الأقدارِ [٥] حتى تذهبَ [الظّلمةُ] [٦] عنك وتأتيك[٧] الأنوارُ، وأمَّا القناعةُ فهو الرّضا بمضمونِ الحقِّ قلّ أو كثُر، وأمَّا الرّضا [فهو] [٨] عدمُ الشّكوى والتّلذذُ بالبلوَى[٩]

وأمَّا التّوكلُ نفيُ الاعتمادِ على الأسبابِ[١٠]، وأمَّا [الذّكرُ] [١١] حسنُ المعاملةِ مع الله ﷻ ومع عبادِه، وأمَّا الصّدقُ استواءُ[١٢] العملِ في السرِّ والعلانيّةِ [١٣]، وقال بعضُهم: الصدقُ لسانٌ محزونٌ، وكلامٌ موزونٌ، وأمَّا الخوفُ عدمُ الوقوعِ فيما نهى اللهُ عنه؛ لأنَّ مَن عرفَ اللهَ لم يضلْ،

---

(١) بداية ل ١٥/ أ في ب.

(٢) الإرادة: بدء طريق السالكين، وَهِيَ اسم لأول منزلة القاصدين إِلَى الله ﷻ، وإنما سميت هذه الصفة إرادة، لأن الإرادة مقدمة كُل أمر، فَمَا لَمْ يرد العبد شَيْئًا لَمْ يفعله، فلما كَانَ هَذَا أول الأمر لمن سلك طريق الله ﷻ سمى إرادة تشبيها بالقصد فِي الأمور الَّذِي هُوَ مقدمتها، فأما حقيقتها فهي نهوض القلب فِي طلب الحق ﷻ. (ينظر: الرسالة (٢/ ٣٥١-٣٥٢)، آداب المريدين (ص ٢٠)، معجم مصطلحات الصوفية (ص١٣).

(٣) الطوارق: ما يرد إلى القلب من بشارة أو زجر في أثناء مناجاة الليل. (معجم مصطلحات الصوفية (ص١٦٩).

(٤) أي: التسليم للمولى، والصبر على البلاء، واستواء المنع والعطاء. (مذاقات في عالم التصوف (ص٨١).

(٥) ب، ج: الاقتدار.

(٦) أ: الكلمة

(٧) ج: ويأتيك.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب).

(٩) الصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. (مدارج السالكين (٢/ ١٥٥)، آداب المريدين (ص ٢٠-٢١).

(١٠) التوكل هو اعتماد القلب على الله ﷻ وحده، وقطع النظر عن الأسباب مع التمكن منها، وهو مطلوب؛ لترك ما يشغل عن الله ﷻ. (ينظر: الإحياء (٤/ ٢٥٩)، معجم مصطلحات الصوفية (ص ٥٣).

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من ب، ج.

(١٢) بداية ل ١٢/ ب في ج.

(١٣) ب: والعلن.

ومَن ضلَّ لمْ[1] يعرفْه، ومَن خافَه لم يعصه، ومَن [2] عصاه لم يخفه [3].

وأمَّا الرّجاءُ فهو الالتجاءُ إلى الله ﷻ باطنًا وظاهرًا، وأمَّا التّدبّرُ[4] فهو التّفكرُ في صنعِ الله ﷻ، [والدّليلُ عليه [5] قولُه ﷻ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [6]][7]، وأمَّا الشّكرُ [فهو][8] إرسالُ الجوارحِ[9] في خدمةِ الله ﷻ[10]، وأمَّا الصّفاءُ [11] [فهو] [12] إزالةُ الأشوابِ[13][عن القلوبِ][14] ، وصفاءُ السرِّ لعلّامِ الغيوب.



وأمَّا الذّوقُ [15] [فهو][16] فهمُ المعجمِ والمشكلاتِ، وجولانُ العقلِ في معرفةِ الذّاتِ



---

(1) أ: فلم.

(2) بداية ل ١٠/ أ في أ.

(3) ومن عرف ربه أحبه، وإذا أحبه أقبل عليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولا إلى الآخرة بعين الفترة، فهو بجسده في الدنيا، وبروحه في الآخرة. (مذاقات في عالم التصوف (ص٧٤).

(4) أ: التدبير.

(5) ج: والدليل على ذلك.

(6) يونس: ١٠١

(7) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من ب، ج.

(8) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ، ج).

(9) بداية ل ١٥/ ب في ب.

(10) الشكر: هو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع والإذعان، أو هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله. (ينظر: معجم ألفاظ الصوفية (ص١٨٥)، شرح الخريدة (صـ ١٨٧).

(11) ب: الفضا.

(12) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(13) ب: الأتراب. الأشواب: جمع شوب، وهو الخلط. والمعنى: أن يكون نقيًّا صافيًا. (ينظر: لسان العرب مادة (وشب).

(14) ما بين المعقوفتين مثبت في (ج)، وفي (أ): عن القلب، وفي (ب): من القلب.

(15) الذوق: نور عرفاني يقذفه الله بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل. (التعريفات (ص١٠٧)، معجم مصطلحات الصوفية (ص ١٠٤)، وقال الغزالي: "أمَّا الذوق فهو كالمشاهدة والأخذ باليد، ولا يوجد إلا في طريق الصوفية". (المنقذ (ص١١٤).

(16) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).



والصّفاتِ، وهو سرٌ لطيفٌ ينشأُ(١) عن العقلِ، وهو بابُ العقلِ.

وأمَّا الشّوقُ [فهو] (٢) هيمانُ (٣) القلبِ عند ذكرِ المحبوبِ (٤)، وهو سرٌ لطيفٌ ينشأُ(٥) عن(٦) المحبةِ، [فمن ذلك من ذاقَ اشتاقَ] (٧)، وتركَ السّوءَ وراقبَ الملِكَ الخلّاقَ، ومَن لا يكونُ عنده ذوقٌ ولا شوقٌ فهو جمادٌ(٨)، لا يفهمُ ولا يعقلُ.

وأما الإخلاصُ (٩) [هو] (١٠) إخلاصُ العملِ بالنّيّةِ، وأمَّا علاماتُ الإخلاصِ [فهو] (١١) ألّا يرى(١٢) الإخلاصَ إخلاصًا، وأمَّا حقيقةُ الإخلاصِ [هو] (١٣)[عدمُ] (١٤) مشاهدةِ الإخلاصِ، وأمَّا اليقينُ فهو الذي لا يزلزلُه الشّكّ [أصلًا] (١٥)، وهو عدمُ إزاغةِ القلبِ عن الحقِّ عند نزولِ الأقدارِ.



فصلٌ في بيانِ معاني الفقيرِ

الفقيرُ مَن كان مع ربِّه صادقًا، وجمعَ بين الشرعِ والحقائقِ.

الفقيرُ مَن عرفَ الغنيَّ وافتقرَ إليه، وكان متأدبًا بين يديه.

---

(١) ب، ج: نشأ.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(٣) الهيمان: ذهَاب عَن التماسك تَعَجبا أَو حيرة. (منازل السائرين (١/ ٧٩).

(٤) ينظر: آداب المريدين (ص٢١)، معجم مصطلحات الصوفية (ص ١٤٢).

(٥) ب، ج: نشأ.

(٦) ب: من.

(٧) ما بين المعقوفتين مثبت في (ج)، وفي (أ): فمن ذاق واشتاق، وفي (ب): فمن ذاق اشتاق.

(٨)أ: حمار.

(٩) أ: والإخلاص.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١٢) ب، ج: ألا ترى.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب.

(١٥) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

الفقيرُ[١] [هو] [٢]الذي لا يجولُ في قلبِه غير [٣] الحقِّ.

الفقيرُ مَن اشتغلَ بالحقِّ، وأفنى نفسَه في متابعةِ الرسولِ ﷺ في أمرِه ونهيِه [٤].

الفقيرُ هو الذي صحَّ [٥] كلامُه، وقلَّ رأيُه [٦] وخدّامُه [٧].

الفقيرُ مَن لا يطالبُ بدمِه ولا بعرضِه ولا بمالِه.

الفقيرُ لا يكونُ فقيرًا [٨] إلا بعد خروجِه من نفسِه قولًا وفعلًا وطبعًا، والدّعوى ما تأتي[٩] إلا بوجودِ النفس.

الفقيرُ[١٠] مثلُ الميتِ مع الخلقِ.

(بمَ يُعرف الزاهدُ من غيره؟)

وسُئل بعضُهم: بما [١١] **يُعرفُ الزاهدُ في الدنيا من غيرِه؟** قال [١٢]: تعرفُه [١٣] بأنَّه[١٤] لا يفرحُ لها

---

(١) بداية ل ١٣/ أ في ج.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) زدناه من ب، ج.
(٣) أ: بغير.
(٤) ب، ج: نهيه وأمره.
(٥) ب: دع.
(٦) ب، ج: زائره.
(٧) أ: وحرمه.
(٨) ب: ما قال أنا فقير.
(٩) أ: يأتي.
(١٠) ب، ج: فالفقير.
(١١) أ: ما، وفي ج: عن ما.
(١٢) ب: فقال.
(١٣) أ: يعرفه.
(١٤) ب: أنه.



إذا أقبلتْ، ولا يحزنُ عليها إذا [١] أدبرتْ[٢]، فهذا ميزانٌ توزنُ[٣] به الزاهدَ من غيرِه.

(بعضِ صفاتِ الصوفيةِ)

واعلمْ: أنّ الصوفيةَ لا يضعون الأشياءَ إلا في موضعِها، ويدبرون الأقوالَ[٤] والأحوالَ كلَّها بالعلمِ الشرعيِّ، ويقيمون [٥][أمرَ][٦] الخلقِ مقامَهم، والحقّ[٧] مقامَه، ويستروا ما ينبغي أن يسترَ، [ويظهروا ما ينبغي أن يظهرَ][٨]، ويضعون الأمورَ[٩] [كلَّها][١٠] في مواضعِها[١١] بحضورِ عقلٍ، وصحةِ توحيدٍ، وكمالِ معرفةٍ، ورعايةِ صدقٍ وإخلاصٍ [في فضلٍ، واللهُ أعلمُ][١٢].

وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

[نجزتْ في ضحوةِ سابع شوال سنة تسعة عشر وألف، وكتبها بيدِه الفانية أحمدُ الديربي، غفر اللهُ له ولوالديه، آمين][١٣].

---

(١) بداية ل ١٠/ ب في أ.

(٢) ب، ج: تزن.

(٣) فالزهد عزوف عن الدنيا بلا تكلف، «الزاهد حقا لا يذم الدنيا، ولا يمدحها، ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت». (كتاب الزهد الكبير، البيهقي، (ص٦٣).

(٤) ب، ج: الأوقات.

(٥) ب، ج: ويقيموا.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب.

(٧) ب: ويقيموا أمرَ الحق.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ)، زدناه من: ب.

(٩) ب، ج: ويأتوا بالأمور.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج).

(١١) ب: موضعها.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط في (ب، ج). وينظر: (ينظر: أبجدية التصوف الإسلامي (ص١٤٣)، مذاقات في عالم التصوف (ص٣٢).

(١٣) ما بين المعقوفتين مثبت في (ج) فقط.



فهرس المراجع والمصادر

- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام الأشعري، ت. د/ فوقية حسين، دار الأنصار–القاهرة، ط/ (١)، ١٣٩٧هـ.
- أبجدية التصوف الإسلامي، الإمام محمد زكي إبراهيم، مطبوعات العشيرة المحمدية، ط/ (٦) بدون تاريخ.
- أبكار الأفكار الآمدي، ت. د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط/ (٢)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- الإبهاج في شرح المنهاج، لابن السبكي، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.
- إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، للشيخ عبد السلام اللقاني، ت الشيخ/ محمد محيي عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط/ (٢)، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ت/ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط/ (١)، ١٤١٧هـ.
- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة –بيروت، بدون تاريخ.
- آداب المريدين ويليه داعي الفلاح إلى سبل النجاح، أبو النجيب عبد القاهر السهروردي، ت/ مناحم ميلسون، المطبعة التجارية–القدس، بدون ت.
- الأربعين في أصول الدين، الرازي، ت. د/ أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية–القاهرة، ط/ (١)، ١٤٠٦هـ.
- أصول الدين للبغدادي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط/ (٣)، بدون ت.
- إطلالة على دلائل النبوة والرسالة لدى المتكلمين، أ. د/ عبد الحميد عز العرب، بدون طبعة وت.
- إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام، أ. د/ عبد الحميد عز العرب، دار المنار–القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.



- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط/ (١٥)، ٢٠٠٢م.
- الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط/ (١)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشّربينيّ، ت/ علي محمد معوض وزميله، ط/ (٣)، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلي، ط/ مصطفى الحلبي، ط/ ٤، ١٨٩٠م.
- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الشيخ عبد الوهاب الشعراني، ت. د: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية-بيروت.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد البغدادي، عنى بتصحيحه/ محمد شرف الدين بالتقايا، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- بحر الكلام للنسفي، ت/ محمد السيد، دار الفتح، ط/ ١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- بستان الفقراء ونزهة القراء صالح بن عبد الله، ت: السيد يوسف أحمد، دار الكتب-بيروت.
- تاج العروس، محمّد بن محمّد الزَّبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون.
- تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي –القاهرة.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، دار الكتاب العربي –بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٤هـ.
- تحفة المريد على جوهرة التّوحيد، الإمام البيجوري، ت. د/ على جمعة، دار السلام، ط/ ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- التحقيق التام في علم الكلام، محمد الحسيني الظواهري، مكتبة النهضة المصرية، ط/ ١، ١٣٥٧هـ-١٩٣٩م.
- الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت/ أيمن بن صالح بن شعبان، دار

الحديث – القاهرة، ط/ ١، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م.

- التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي، ت/ آثرجون أربري، مكتبة الخانجي- القاهرة.
- التعريفات الجرجاني، ت/ جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط/ ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تفسير الزمخشري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط/ ١، ١٤٠٧هـ.
- التّفسير الكبير، للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١هـ.
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني، ت/ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية–لبنان، ط/ ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي، ت د/ حبيب الله حسن، ط/ دار الطباعة المحمدية، ط/ ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- توضيح المراد من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، د/ حبيب الله حسن أحمد، د/ إسماعيل الكيلاني، مطبعة الحسين الإسلامية-القاهرة، ط/ ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت/ أحمد البردوني وغيره، دار الكتب المصرية –القاهرة، ط/ ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- جواهر التصوف، يحي بن معاذ الرازي، ت/ سعيد هارون، مكتبة الآداب-القاهرة.
- حاشية الصاوي على الجوهرة، الشيخ أحمد الصاوي، ت/ عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير- دمشق.
- حاشية علي بن أحمد العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الكتب العلمية-بيروت.
- الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، السيوطي، ت/ عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.





- حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، للنووي، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ط/ الملاح-دمشق، ١٣٩١ه-١٩٧١م.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، ت/ محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط/ ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لـ علي مبارك باشا، دار الكتب والوثائق القومية، ط/ ٢، ٢٠٠١م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي، دار صادر – بيروت.
- الدعوى والشطح عند الصوفية مع تحقيق رسالة في المنع منهما لقطب الدين القسطلاني، أ.د/ حبيب الله حسن أحمد، مصر للخدمات العلمية-القاهرة.
- دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط/ ١، ١٤٠٥هـ.
- الرسالة القشيرية عبد الكريم القشيري، ت. د/ عبد الحليم محمود وزميله، دار المعارف، القاهرة.
- رسالة قواعد العقائد، للطوسي، ت/ علي حسن خازم، دار الغربة-لبنان، ط/ ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان، ت ش/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية–بيروت.
- الزهد الكبير، أبو بكر البيهقي، ت/ عامر أحمد حيدر، ط/ ٣، ١٩٩٦.
- السراج المنير، الخطيب الشّربينيّ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
- سنن ابن ماجه، ت/ شعيب الأرنؤوط وغيره، دار الرسالة العالمية، ط/ ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- سنن الترمذي ت/ إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، ط/ ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- السنن الكبرى، الإمام النسائي، ت/ حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط،



تقديم: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط/ ١، ١٤٢١هـ –٢٠٠١م.

- سير أعلام النبلاء الذهبي، ت/ مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط/ ٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل=المشهور بالرد على نونية ابن القيم، لـ تقي الدين السبكي، ت/ محمد زاهد الكوثريّ، المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة، بدون ت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ت/ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- شرح إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، لـ عبد السلام اللقاني، بشرح: أ. د/ فتحي أحمد عبد الرازق، مطبعة الحصري، ط/ ٣، ٢٠١٢م.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ت. د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط/ ٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م،
- شرح الخريدة البهية للشيخ الدردير، ت/ عبد السلام بن عبد الهاي شنار، دار البيروني.
- شرح الخريدة لأبي البركات الدردير، ت. د/ فتحي أحمد عبد الرازق، مطابع الشركة القومية للتوزيع، ط/ ٢، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ت/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط/ ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ت/ شعيب الأرناؤوط-عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط/ ١٠، ١٤١٧هـ –١٩٩٧م.
- شرح الكبرى للسنوسي، ط/ (١)، مطبعة مصطفى الحلبي.
- شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، دار المعارف النعمانية-باكستان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط/ ٢، ١٣٩٢ه.

- شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام اللقاني، ت الشيخ/ محمد محيي عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط/ ٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- شرح عقيدة الإمام الغزالي، سيدي أحمد زروق، تقديم د/ جودة محمد أبو اليزيد، تحقيق د/ محمد عبد القادر نصار، دارة الكرز-القاهرة، ط/ ١، ٢٠٠٧م.
- شعب الإيمان للبيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الفيحاء – عمان، ط/ ٢، ١٤٠٧هـ.
- صحيح ابن حبان، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ ٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، ت/ محمد زهير، دار طوق النجاة، ط/ ١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، ت الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الصوفية والفقراء لابن تيمية، ت/ محمد جميل، دار المدني-القاهرة، بدون ت.
- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب السبكي، ت.د/ عبد الفتاح الحلو وغيره، دار هجر، ط/ ٢، ١٤١٣هـ.
- الطريق إلى الله، د/ علي جمعة، ط/ شركة الوابل الصيب-القاهرة، ط/ ٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- عصمة الأنبياء للرازي، مطبعة الشهيد-قم، منشورات الكتبي النجفي، ١٤٠٦هـ.
- علاقة الإنسان بالملك والشيطان، أ.د/ حبيب الله حسن أحمد، بدون.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ابن الجوزي، ت/ إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط/ ٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- عيوب النفس لأبي عبد الرحمن السلمي، ت/ مجدي فتحي، دار الصحابة للتراث-طنطا، ط/ ٢، ١٤١٣-١٩٩٣م.
- غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، ت.د/ حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية – القاهرة.

- الفائق في غريب الحديث الزمخشري، ت/ علي محمد البجاوي وزميله، دار المعرفة – لبنان، ط ٢، بدون ت.
- فتح الباري، لابن حجر، ت الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، د/ محمد الفيومي، دار الشروق-القاهرة، ط/ ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الإسفراييني، دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط/ ٢، ١٩٧٧م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي-القاهرة، بدون ت.
- الفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من أئمة الشافعية، محمد بن سليمان الكردي، ت/ بسام الجابي، دار نور الصباح، لبنان، ط/ ١، ٢٠١١م.
- في علم الكلام د/ أحمد محمد صبحي، دار النهضة العربية-بيروت، ط/ ٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق، ت: محمود بيروتي، ط/ ١، ١٤٢٤ه-٢٠٠٤م.
- قواعد العقائد، للغزالي، ت/ موسى محمد علي، عالم الكتب-لبنان، ط/ ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة، ت د/ عوض الله حجازي، بدون طبعة وت.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، ت. د/ رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، ط/ ١، ١٩٩٦م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ت/ عدنان درويش،



مؤسسة الرسالة-بيروت.

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، محمد الغزي، ت/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- لسان العرب ابن منظور، دار صادر–بيروت، ط/ ٣ -١٤١٤هـ.
- اللمع لأبي نصر السراج، ت.د/ عبد الحليم محمود وزميله، دار الكتب الحديثة–مصر، ١٩٦٠م.
- لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات، للرازي، ت/ طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٦هـ.
- مباحث في علم التوحيد (الإلهيات)، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، طبعة دار أخبار اليوم، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.
- مباحث في علم التوحيد (السمعيات) أ.د/ محمد سيد طنطاوي، طبعة أم القرى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، ت/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، ت/ عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مذاقات في عالم التصوف، د/ حسن زكي عباس، ت/ خديجة النبراوي، بدون طبعة وت.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط/ ١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد، ت الشيخ/ أحمد شاكر، دار الحديث –القاهرة، ط/ ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- المطالب العالية من العلم الإلهي، للإمام الرازي، ت.د/ أحمد حجازي السقا، دار الكتاب

العربي بيروت، ط/ ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- معجم اصطلاحات الصوفية عبد الرزاق الكاشاني، ت. د/ عبد العال شاهين، دار المنار-القاهرة، ط/ ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- المعجم الصوفي، د/ سعاد الحكيم، دندنة-بيروت، ط/ ١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- معجم ألفاظ الصوفية، د/ حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار-القاهرة، ط/ ١، ١٩٨٧م.
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي-«قم»، ط/ ١، ١٤١٢هـ.
- المعجم الكبير الطبراني، ت/ حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط/ ٢.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، بدون ت.
- معجم مصطلحات الصوفية، د/ عبد المنعم الحفني، دار المسيرة-بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
- معراج التشوف إلى حقائق التصوف، للشيخ/ عبد الله أحمد بن عجيبة، ت د/ عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي-الدار البيضاء.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشّربينيّ، دار الكتب العلمية، ط/ ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام الأشعري، ت. الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-صيدا-، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- المقدمة في التصوف أبو عبد الرحمن السلمي، ت. د/ يوسف زيدان، دار الجيل-بيروت، ط/



١، ١٤١٩-١٩٩٩م.

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي، ت/ بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر/ الجفان والجابي، قبرص، ط/ ١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- الملل والنحل، الشهرستاني، ت/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة -بيروت، ١٤٠٤هـ.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ت.د/ محمود قاسم، ط/ ٢، ١٩٦٤م.
- مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري-القاهرة، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ت/ فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط/ ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م
- منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشّيعة القدرية، لابن تيمية، ت. د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط/ ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المواقف الإيجي، ت. د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل-بيروت، ط/ ١، ١٩٩٧م.
- نهاية الأقدام في علم الكلام، الشهرستاني، ت/ ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ط/ ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.
- الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه، ت/ سيد كسروي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية